نقد فلسفة آيدن في فكرة العالم الإسلامي

د. محمد بن سعود السفياني

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بجامعة الطائف

كلية الشريعة والأنظمة – قسم الثقافة الإسلامية

مستخلص. هذا بحث في عرض تصور البروفسور كيميل آيدن عن العالم الإسلامي من خلال كتابه: فكرة العالم الإسلامي؛ حيث يرى أنها فكرة حديثة أنجبتها أطماع جيوسياسية. وذلك من خلال بيان العوامل التي أدت لظهور هذه الفكرة الحديثة من وجهة نظره، ومن خلال الأسباب التي دعت البروفسور آيدن للقول بذلك. ثم نقد تصور البروفسور آيدن من خلال الواقع العلمي؛ عن طريق علماء الإسلام ومفكره، ومن خلال الواقع العملي؛ عن طريق القادة والسياسيين، وعن طريق الشعوب في العالم الإسلامي اليوم؛ والتي تمثلت في منظمات دولية كبرى على مستوى العالم بأسره.

المقدمة

لقد شاء الله وقضى أن يكون الإسلام هو الديانة الخاتمة لجميع الأديان، ونبيه صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم الذي لا نبي بعده. وأن هذا الدين العظيم سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وسيظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون.

ومنذ انبثاق فجر الإسلام، والمسلمون يبلغون دين الله الخاتم للعالمين ويدعون الناس إليه؛ فمن دخل في دين الإسلام من الممالك والشعوب كان جزءاً من عالم المسلمين، ومن صد وأعرض منهم لم يكن داخلياً في هذا العالم الإسلامي؛ الذي تحكمه الشريعة الإسلامية ويقطنه المسلمون؛ فكانت الدول والممالك في الجملة على قسمين؛ إما مسلمون خالصون حكماً ومحكومين، وإما غير مسلمين.

ثم تداخلت الممالك والدول بفعل الفتوحات الإسلامية، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وكذلك بفعل الغزو والاستعمار لبلاد المسلمين بعد ذلك؛ فاختلط المسلمون بغيرهم، ودخلت بعض الشعوب في الإسلام؛

فأصبحت الدولة الواحدة تحوي عدداً من العقائد والأديان، وبات التمايز الديني لتلك الدول مشوباً لا خالصاً كما كان من قبل.

ومع ذلك فقد احتفظ العالم الإسلامي بوجوده من خلال الدول التي تسود فيها الشريعة الإسلامية، أو التي غالب أهلها من المسلمين؛ خصوصاً الدول العربية، أو الدول ذات الأغلبية المسلمة.

وقد اختلف العلماء في التحديد الدقيق لوصف الدول بالإسلام أو الكفر منذ أن ظهرت مسألة دار الكفر ودار الإسلام أواخر القرن الثاني الهجري، وما هو مناط وصف كل دار، وكان لكل رأي في هذه المسألة في القديم والحديث؛ وقد كتبت حول ذلك كتب وأبحاث متعددة حتى باللغة الإنجليزية؛ ومن ذلك كتاب: فكرة العالم الإسلامي لأستاذ في إحدى الجامعات الأمريكية

مترجمة للعربية، أو هي عربية أصيلة ترجمت للإنجليزية.

(5) حاولت تفكيك فكرة المؤلف التي ذهب إليها من خلال معرفة الأسباب التي دعت للقول بها، وما وراء هذه الأسباب ثم الإجابة عنها من وجهة نظري.

(6) عرفت بالأعلام الوارد ذكرهم في تضاعيف كلام المؤلف.

(7) كما عرفت بالمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريف وبيان.

أما عن الأسباب التي دعتني لاختيار هذا البحث فهي:
 أولاً: ارتباط موضوع البحث بمفاهيم عقديّة كبرى؛ فإنكار وجود عالم إسلامي، أو دار للمسلمين ودار للكافرين؛ يبطل عقيدة الولاء والبراء، والنصرة على أساس الدين للمستضعفين من المؤمنين، وقد بين الله هذه العلاقة العظيمة في كتابه الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنَّصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الأنفال: 72)
 ثانياً: أن من مباحث علم العقيدة؛ الرد على الشبهات التي تثار حول قضايا الاعتقاد، وما يتعلق بها من المسائل الفكرية والفلسفية؛ خصوصاً تلك التي تستورد من خارج العالم الإسلامي.

ثالثاً: قلة الأبحاث التي تكتب عن الدراسات والأبحاث الإسلامية التي كتبت باللغة الإنجليزية، فلعل هذا البحث يسهم بجهد المقل في هذا الباب.

رابعاً: عدم وجود دراسات سابقة عن هذا الموضوع فيما أعلم؛ حيث إن الكتاب مطبوع في وقت متأخر نسبياً كما سيأتينا.

وقد واجهني في ذلك عدد من الصعوبات أهمها:
 أولاً: طول الوقت الذي قضيته في الترجمة من الإنجليزية للعربية.

يتحدث فيه عن فكرة العالم الإسلامي وأبعاد هذه الفكرة، وهل هي فكرة حقيقية أم متوهمة! حيث ولأهمية هذا الموضوع وارتباطه الوثيق بعقيدة المسلمين في وجوب الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، وارتباطه بمسائل الكفر والإيمان؛ رأيت أن أكتب هذا البحث عن تصور الكاتب عن تلك الفكرة من خلال كتابه، ومدى صدقها على المستوى الفكري العلمي، وعلى المستوى العملي الواقعي؛ من خلال عرض لما كتبه، ثم نقده بحسب ما يظهر لي من دلائل.

منهج البحث:

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي في إيضاح فكرة المؤلف، والمنهج التحليلي النقدي لهذه الفكرة من خلال ما يلي:

(1) قمت بقراءة الكتاب باللغة الإنجليزية المسمى — The Idea Of The Muslim World: فكرته العالم الإسلامي؛ لمؤلفه البروفسور كيميل آيدن. وسيأتي التعريف بالكتاب والكاتب. إضافة لمقال مطول كتبه المؤلف -بالإنجليزية أيضاً- يلخص فيه فكرة الكتاب.

(2) قمت بترجمة أجزاء الكتاب التي تخدم البحث، وكذلك ترجمة المقال من الإنجليزية للعربية.

(3) كتبت فكرة آيدن بحسب ما توصل إليه فهمي، وكنت غالباً أستخدم كلمات المؤلف نفسها؛ ليكون البحث أكثر دقة وموضوعية.

(4) قمت بمحاولة نقد فكرة المؤلف وتدعيم هذا النقد بما وقفت عليه من دلائل، وهذا استلزم مني الرجوع لكثير من المراجع التي رجع إليها المؤلف نفسه، وكثير منها

أكثرها جاءت ملخصةً من هذا الفصل المطول في الكتاب؛ وقد حمل المقال عنوان: "ماهي فكرة العالم الإسلامي"

What Is The Idea Of The Muslim World ?

أما بقية فصول الكتاب فهي:

- (1) الأمة الإمبراطورية قبل القرن التاسع عشر.
- (2) تعزيز النظام الإمبراطوري العالمي (-1814 1878).
- (3) البحث عن التوافق بين الملكة والخليفة (1878-1908).
- (4) معركة الأوهام الجيوسياسية (1908-1924).
- (5) السياسة الإسلامية لفترة ما بين الحربين (1924-1945).

(6) إحياء الأممية الإسلامية (1945-1988).

وهذا الفصل من فصول الكتاب المهمة أيضاً في فكرة العالم الإسلامي، بحث فيه آيدن إعادة إحياء مفهوم الأمة الإسلامية أو العالم الإسلامي؛ من خلال التضامن الذي دعت إليه الدول الإسلامية، وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية. وفيه فصل مطول عن الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي سماه آيدن خليفة الحرب الباردة لكافة المسلمين، وعن جهوده في التضامن الإسلامي العالمي، وأسباب دعوته لهذا التضامن، والإيديولوجيات التي كانت في تلك الحقبة مؤثرة في الحيلولة دون قيام هذا التضامن، أو هذه الوحدة الإسلامية.

ثانياً: محاولة كتابة تصور المؤلف كما أراد دون الإخلال بالأمانة العلمية.

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث على النحو التالي:

المقدمة؛ وفيها منهج البحث وأسبابه وصعوباته.

المبحث الأول: التعريف بالكتاب والكاتب.

المبحث الثاني: فكرة العالم الإسلامي كما يراها آيدن.

المبحث الثالث: نقد موقف آيدن في فكرة العالم الإسلامي.

المبحث الرابع: حاضر العالم الإسلامي.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

والله نسال توفيقه وتسديده وبركته وهداه!

المبحث الأول: التعريف بالكتاب والكاتب

يحمل الكتاب المثير الذي تحدث فيه المؤلف البرفسور كيميل أيدن عن مسألة العالم الإسلامي؛ العنوان التالي:

"فكرة العالم الإسلامي -تاريخ فكري عالمي-"

The Idea Of The Muslim World

Global Intellectual History

والكتاب من مطبوعات جامعة هارفارد Harvard

University الواقعة بمدينة كامبريدج

Cambridge، بولاية ماساتشوستس

Massachusetts الأمريكية، وطُبع عام 2017م،

ويقع الكتاب في 293 صفحة، تحدث فيه المؤلف عن

الإمبراطوريات قبل القرن التاسع عشر، وجوانب

تعزيزها، وعن المعارك المفتعلة، والأوهام

الجيوسياسية¹، والسياسة الإسلامية في فترة ما بين

الحربين وإعادة إحيائها، وقد جاءت في عدة فصول

على النحو التالي:

الفصل الأول وكان بعنوان: ما هو العالم الإسلامي؟

والذي كان بمثابة المقدمة، وهو الذي يهمننا في هذا

البحث مع الفصل الأخير أيضاً، إضافة إلى المقال

المسهب للمؤلف المكون مما يقارب ثلاثين فقرة

بحار وجبال وسهول وخلجان وغابات. ومناخ؛ على أداء صنّاع القرار السياسي داخل الدولة نفسها؛ وعلى أداء السياسة الخارجية للدول بشكل عام". انظر: موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة؛ عربي/انجليزي/فرنسي لمحمد سبيلا ونوح الهرمزي وآخرون. ط: الأولى 2017م منشورات المتوسط؛ ميلانو-إيطاليا.

(1) الجيوسياسية مصطلح مركب من كلمتين انجليزية وعربية: Geo وتعني أرض، وكلمة: سياسية، وهي في الإنجليزية Politique ويقصد به: "العلم الذي ينصب على تحليل انعكاسات، وتداعيات المقومات الجغرافية على أداء السياسة الخارجية للدول وطبيعة سلوكياتها خارجياً. أو بتعبير آخر؛ العلم الذي يدرس التأثيرات المختلفة للإقليم بما يتضمنه من تضاريس-

"إن الغاية الرئيسية من هذا الكتاب؛ هو شرح لجذور هذه الروايات وفهم لمدى جاذبيتها -أي الروايات التي تقول بوجود عالم إسلامي متمايز عن العالم الغربي المسيحي- التي يعيش فيها العالم الإسلامي إلى جانب الغرب المسيحي؛ لذا فأنا أقدم سلسلة نقدية لأصول فكرة العالم الإسلامي، وأوضح كيف أنه في أواخر القرن التاسع عشر استخدم الإسلاميون والخائفون من الإسلام هذه الفكرة الافتراضية؛ لتقديم جداول أعمال سياسية"

وقال آيدن إنه يتمنى أن تعاد العلاقات على مبدأ وطني، كما يجب التفكير في الطرق التي تدخل العرق والجغرافيا والسياسة في هذه العلاقات المتشابكة؛ وذلك للحد من هذا النضال أو الصراع من أجل تحقيق العدالة.

وقد استهل المؤلف كتابه بهذه الفكرة؛ حيث ابتدأ بالحديث عن المسلمين، وأنهم يشكلون تقريباً خمس العالم، ولكنهم مختلفون في اللغة والأيدولوجيا السياسية والجنسية والثقافة والثروة؛ ومع ذلك المسلمون وحتى غير المسلمين يسعون لإبراز وحدة إسلامية متخيلة!

وهي ذات الفكرة التي سنناقشها في هذا البحث؛ لنرى مدى صحتها من حيث الأدلة التي قامت عليها، ومن حيث الواقع المشاهد اليوم في العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب.

أما الكاتب فهو: البرفسور كيميل آيدن Cemil Aydin وكما يشير موقع جامعة كارولينا الشمالية الذي نشر سيرة مختصرة عن المؤلف باعتباره عضواً في الجامعة، وذلك بتاريخ 6/6/2016م ومما جاء فيها ما يلي:

● حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد، في التاريخ ودراسات الشرق الأوسط، في نوفمبر 2002م عن أطروحة بعنوان: "سياسة الهويات الحضارية: آسيا والغرب والإسلام في عموم الفكر الآسيوي"

● ومن ذات الجامعة حصل على الماجستير في دراسات الشرق الأوسط عام 1997م

● كما حصل على ماجستير من جامعة اسطنبول،

1995

كما تحدث فيه عن إنهاء الاستعمار، وسياسات ما بعد الاستعمار الرامية لذات الهدف، وعن بعض الأحداث التي أوجدت فرصة لإعادة إحياء وترميم هذا المفهوم؛ مثل الإبادة الجماعية التي طالت مسلمي البوسنة والهرسك، وغيرها ...

وسيأتي الحديث عن هذا الفصل تحديداً في تضاعيف البحث؛ وخصوصاً في الفصل الأخير منه تحت عنوان حاضر العالم الإسلامي.

(7) والخاتمة: حول استعادة التاريخ وبعثه من جديد، والسعي من أجل تحقيق العدالة.

وفكرة الكتاب وهدفه الرئيس تمت مناقشتها في الفصل الأول من الكتاب وهي: دحض الفكرة التعميمية الخاطئة التي انساق وراءها زعماء سياسيون من المسلمين وغير المسلمين وحتى من المفكرين ورجال الدين التي تقول بوجود عالم إسلامي يتمايز في وجوده عن العالم الغربي!

يوضح آيدن فكرة الكتاب نصاً فيقول:

the central aim of this book is to demonstrate the origins and understand the appeal of these narratives in which the Muslim world lives alongside the Christian west I therefore offer a critical genealogy of the idea of Muslim world showing how stating in the late nineteenth century pan-Islamists and islamophobias have used the assumption idea to advance political agendas".

تطورت فكرة العالم الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وتحديداً ظهر مصطلح "العالم الإسلامي" لأول مرة في سبعينيات القرن التاسع عشر. ففي البداية، كان المبشرون الأوروبيون، أو الضباط الاستعماريون يؤيدون هذا المصطلح؛ للترقة ما بين العرق الأصفر في شرق آسيا، والعرق الأسود في أفريقيا، كما أنهم استخدموه للتعبير عن خوفهم من ثورة إسلامية محتملة، على الرغم من أن أفراد الإمبراطورية المسلمين لم يكونوا متمردين على إمبراطورياتهم أكثر من الهندوس أو البوذيين! وبعد الثورة الهندية الكبرى في عام 1857م عندما انتفض كل من الهندوس والمسلمين ضد البريطانيين، ألقى بعض ضباط الاستعمار البريطاني باللوم على المسلمين في هذه الانتفاضة! وتساءل **وليام ويلسون هانتر** - وهو ضابط مستعمرات بريطاني² - عما إذا كان بإمكان المسلمين أن يكونوا موالين لعاهل مسيحي؛ جاء ذلك في كتابه المؤثر (1871) "المسلمون الهنود: هل تنطوي ضمائرهم على تمرد ضد الملكة؟". في الواقع، لم يكن المسلمون مختلفين كثيراً عن الهندوس من حيث ولاؤهم أو نقدهم للإمبراطورية البريطانية. كما كتب نخبة من المسلمين الهنود -مثل الإصلاح **سيد أحمد خان**³ - اعتراضات غاضبة على مزاعم هانتر. لكنهم قبلوا -أيضاً- بملاقاته ومناظرته، حيث كان المسلمون فئة منفصلة ومميزة من الهنود.

ثم إن هذه الفكرة الحادثة قد انساق خلفها عدد من السياسيين الغربيين والسياسيين المسلمين، كما فعل ذلك الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية؛ باراك أوباما عام 2009م في خطابه للعالم الإسلامي الذي انطلق من القاهرة بعد تسنمه هرم الرئاسة.

- حصل من جامعة Boğaziçi، (هكذا باللغة التركية في الموقع) في إسطنبول على البكالوريوس في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، يونيو 1991م.
- كان بين عامي 1997-1999م طالباً زائراً وزمياً بجامعة طوكيو باليابان.

المنشورات الأخيرة من الكتب والمقالات:

- (1) **فكرة العالم الإسلامي: تاريخ فكري عالمي** (مطبعة جامعة هارفارد، ربيع 2017 المقبل) كيميل آيدن.
 - (2) **سياسة معاداة الغرب في آسيا: رؤى النظام العالمي في الفكر الإسلامي والوحيد الآسيوي** (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، سلسلة التاريخ العالمي والدولي، 2007).
 - (3) **المسلمون والإعلام: التصورات والمشاركة والتبادل**، كيميل آيدن وجوليان هامر، (عدد خاص)، الإسلام المعاصر (10 ديسمبر 2009).
 - (4) **نقد الغرب في تركيا وإيران واليابان: الاستغراب، الأزمة الحداثية العالمية وسياسة القومية**، كيميل آيدن وجوليان هامر، عدد خاص من دراسات مقارنة لجنوب آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط.
- والعديد من المقالات التي نشرت له حول: التاريخ، والحضارة الإنسانية، والفلسفة.

المبحث الثاني: فكرة العالم الإسلامي كما يراها آيدن
فكرة العالم الإسلامي فكرة حادثة في نظر آيدن؛ فهي لم تكن موجودة من قبل؛ فمن الخطأ التصديق بأن العالم الإسلامي كان وحدة واحدة، وأن الاستعمار هو الذي مزقها وقسمها إلى دويلات، فالمسلمون في الواقع لم يكونوا يتبعون وحدة سياسية عالمية واحدة؛ بل كانوا شذو مذر كل حزب بما لديهم من سياسة فرحون. وإنما

(3) ولد أحمد خان في دهلي سنة 1242 هـ/ 1817 م لأسرة نبيلة فارسية الأصل، قاد دعوة إلى إصلاح علمي وفكري أسس من أجلها جامعة إسلامية عصرية في مدينة عليكرة أو عليقاره (Aligarh) بشمال الهند، شبيهه المؤرخ أحمد أمين في الهند بمحمد عبده في مصر. توفي في 25 رجب سنة 1306 هـ الموافق 27 مارس سنة 1898م ودُفن في ساحة مسجد جامعة عليكرة. انظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين ص121 وما بعدها. دار الكتاب العربي؛ بيروت-لبنان. وانظر: رواد التجديد في الإسلام: 1840 - 1940م تأليف تشارلز كورزمان ص597 ترجمة: إبراهيم عطية وآخرين الطبعة الأولى 2019م-جسور للترجمة والنشر - بيروت-لبنان.

(2) ولد ويليام ويلسون هانتر في 15 يوليو 1840م في غلاسكو كبرى مقاطعات المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا آنذاك وهو -إضافة لكونه ضابط مستعمرات مندوب على الهند والبنغال- حاصل على درجة الدكتوراه في القانون، عُين قاضياً في المقاطعات السفلى للبنغال وهو كذلك مؤرخ، ومؤلف، ترك العديد من الكتب عن الهند والمسلمين إضافة للعديد من الروايات. أصيب هانتر بنوبة حادة من الإنفلونزا أثرت على قلبه فتوفي في 6 فبراير 1900م. انظر بالانجليزية: Life of Sir William Wilson Hunter By Francis Henry Bennett Skrine - 1901 - Newyork - Mombay ؛ حياة السير ويليام ويلسون هانتر، لفرانسيس هنري بينيت سكرين - طبع عام 1901م نيويورك و ممباي.

1914م تم زرع السلطان العثماني كخليفة في المجتمع المسلم، ليعلن الجهاد نيابة عن العالم الإسلامي؛ لخلق فكرة عالم إسلامي موحد.

وتأكيداً لهذه الفكرة؛ تكرر المشهد مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية، حين سعى الحلفاء إلى تأييد المسلمين لهم. وعندما بدأت الأيديولوجيات الإسلامية تتشكل في أعقاب الحرب الباردة بقيت الفكرة الجيوسياسية للعالم الإسلامي؛ من أجل بناء تحالفات جديدة، وكانت الإمبراطورية البريطانية تحديداً من بين كل الإمبراطوريات الأخرى كالهولندية والفرنسية والروسية؛ قد لعبت دوراً في تطوير وتوجيه الفكر الإسلامي، حيث كانت تحكم نصف المسلمين تقريباً؛ فنشأ لديها مخاوف من التمرد تجاه سياسات القمع التي كانت تمارسها؛ فأعطت للمسلمين مساحة عززت من مفهوم العالم الإسلامي. ولذلك رتب إدوين مونتاجو⁴، وزير الدولة في الهند التي تحكمها بريطانيا، اجتماعاً في السابع عشر من شهر مايو عام 1919م -على هامش مؤتمر باريس للسلام⁵ - بين الرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون وبين ثلاثة من القادة الهنود المسلمين وهم: الأغا خان⁶، وعبد الله

وقبل ذلك -أيضاً- في يناير من عام 1988م كان الخميني قد وجه رسالة للرئيس غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي المنحل؛ مخاطباً إياه نيابة عن العالم الإسلامي ألا ينساق لدعاية الرأسمالية ضد العالم الإسلامي، وأن يدرس قيم الإسلام الروحية والسياسية عن كثب.

يتساءل آيدن كيف انساق هؤلاء الزعماء، وحتى المثقفون و علماء الدين خلف هذه الفكرة التعميمية غير الدقيقة؟! رغم أن الواقع لا يدعمها؛ فأكثر المسلمين الذين يدعون أنهم متحدثون باسم المسلمين اليوم؛ هم أكثر من يحارب المسلمين ويعادونهم! كما أن المسلمين أنفسهم مقسمون أكثر من أي وقت مضى، ويتناحرون فيما بينهم في حروب أهلية طاحنة، وصراعات على الحدود طال أمدها. ورغم كل ذلك فوهم الوحدة الإسلامية لا يزال قائماً ويتم الترويج له في العالم!

ويستطرد في تقديم أدلة من الواقع على أن فكرة العالم الإسلامي لم تكن موجودة، وإنما أراد الغرب والإمبراطورية البريطانية على وجه التحديد؛ خلق هذه الفكرة، رغم أنه في الحرب العالمية الأولى شارك الأوروبيون من مسلمين ومسيحيين في هذه الحرب -جنباً إلى جنب- مدفوعين بمبدأ الوطنية لا الدين. ويشير آيدن إلى أن هذه الفكرة الحديثة تمت صناعتها من قبل الغربيين؛ لتحقيق مآرب سياسية. ففي عام

(5) هو المؤتمر الذي التقى فيه الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى ضم ممثلين من أكثر من 32 دولة كانت الكلمة فيه للقوى العظمى الخمس آنذاك؛ أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان، وبالأخص الأربعة الكبار -باستبعاد اليابان- والتي مثلها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون، ورئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج، ورئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو، ورئيس الوزراء الإيطالي فيتوريو إيمانويل أورلاندو؛ فقد اجتمعوا بشكل غير رسمي 145 مرة واتخذوا جميع القرارات الرئيسية قبل التصديق عليها. بدأ المؤتمر في 18 يناير 1919م واستمر ما يقارب ستة أشهر. من أبرز قراراته تكوين عصبة الأمم، معاهدة فرساي التي فرضت عقوبات على ألمانيا الخاسرة، وتوقيع عدد من المعاهدات الأخرى. موسوعة ويكيبيديا (النسخة الإنجليزية).

(6) سلطان محمد شاه؛ الأغا خان الثالث ولد في كراتشي عاصمة إقليم السند في الهند البريطانية آنذاك. وهو من النزارية الإسماعيلية وتحت إمامته 1885م - 1957م تطور المجتمع الإسماعيلي. دعا إلى استقلال المسلمين داخل الهند ونيز الطائفية، وتأثر بشدة بأراء سيد أحمد خان. رُشح عام 1932م ممثلاً للهند في عصبة الأمم المتحدة، ثم أصبح رئيساً لها عام 1973م. توفي في 11 يوليو 1957 موسوعة ويكيبيديا (النسخة الإنجليزية).

(4) إدوين صموئيل مونتاجو: هو وزير بريطاني يهودي كان وزير الدولة لشؤون الهند، وقد كان معارضاً شرساً لوعد بلفور، ويرى أنها حركة صهيونية سياسية خبيثة؛ وذلك في مذكرة له بعنوان: "معاداة الحكومة الحالية للسامية" بتاريخ 23 آب/ أغسطس 1917، وهي منشورة باللغة الإنجليزية على موقع المكتبة الافتراضية اليهودية على الانترنت. توفي سنة 1924م (وانظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري الطبعة الأولى 1999م دار الشروق- القاهرة، 6/ 638 فقد عقد فيه المسيري فصلاً عن شخصيات ومنظمات يهودية معادية للصهيونية ابتداء بعائلة مونتاجو. وانظر الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة له أيضاً 2003م دار الهلال - القاهرة. وكذلك كان موقف الرئيس الأمريكي ويلسون ظاهرياً من الحركة الصهيونية باعتبارها تتعارض مع حق الشعوب في تقرير مصيرها. قلت: ربما كان هذا الموقف الظاهري هو نقطة الالتقاء بين الرجلين التي جعلتهما يستمعان للهنود المسلمين الثلاثة. انظر في موقف الرئيس الأمريكي ويلسن كتاب: موقف الولايات المتحدة من النشاط الصهيوني في فلسطين 1897م- 1939م دراسة تاريخية، للدكتور نكتل عبد الهادي ص 63 الطبعة الأولى 1437هـ- 2015م دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان-الأردن. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري، 6/ 519

ولكن هل الواقع اليوم يدل فعلاً على وجود هذه الفكرة الحديثة؟ إن دلالات الواقع التي تدحض هذه الفكرة - إضافة إلى حداثتها- من وجهة نظره؛ أن الصبغة الإسلامية في السياسة الإسلامية المعاصرة للمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة؛ لا تتبع أصلاً من "الحالة اللاهوتية" -على حد تعبيره؛ أي لا تستمد سياسات الحكم من الشريعة الإسلامية- أو لا تتبع كذلك من المستوى العالي بشكل فريد من العقيدة الإسلامية؛ بل من تركة العنصرية الإمبريالية للمسلمين، ومن الاستراتيجيات الفكرية والسياسية الخاصة للمقاومة الإسلامية لهذه الهوية العرقية.

إن الوحدة الإسلامية هي في الواقع جديدة نسبياً ولكنها ليست شاذة؛ إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوحدة الأفريقية والوحدة الآسيوية التي برزت في ثمانينيات القرن التاسع عشر -كما سيأتي تفصيله-.

إذاً لم تكن المجتمعات المسلمة موحدة أبداً، ولم تكن هناك مجتمعات مسلمة متجانسة في أوراسيا⁹. ولم تكن أي من الإمبراطوريات التي حكمها السلالة المسلمة تهدف إلى إخضاع غير المسلمين من قبل المؤمنين المتدينين؛ مثل العثمانيين أو الفارسيين أو المصريين في أواخر القرن التاسع عشر، وإنما كانوا إمبراطوريات متعددة الأعراق، يستخدمون الآلاف من البيروقراطيين من المسلمين وغير المسلمين، ولم يبحث السكان المسلمون أبداً عن تضامن الأمة العالمية

يوسف علي⁷، وصاحب زاده أفتاب أحمد خان⁸؛ لأنه يعتقد أن الإمبراطورية البريطانية، كأكبر إمبراطورية مسلمة في العالم -باعتبار أن أكثر الشعوب المسلمة تركزت تحت حكمهم- تتحمل مسؤولية أخلاقية في الاستماع إلى قضية المسلمين الهنود من أجل الحفاظ على الخلافة العثمانية! وكان جميع القادة المسلمين الثلاثة يؤكدون على علاقاتهم الروحية مع الخليفة العثماني، مع كونهم موالين لولي عهد بريطانيا. وقد انضم العديد من القادة الهنود الهنود إلى هذا الاجتماع، لإظهار تضامنهم مع إخوانهم من المسلمين الهنود في دعمهم للخلافة العثمانية.

كما كان المشرفون على المقدسات الإسلامية يتمتعون بنفوذ كبير لدى مسلمي العالم، وقد استفادوا من هذا النفوذ في مكافحة الإمبراطوريات البريطانية والأوروبية ومنافستها؛ من خلال التضامن الإسلامي لإضعاف منافسيهم وتبرير التحالفات وتعزيز الحملات الدعائية. كما أسهمت الثروات التي تضخمت في العالم الإسلامي في بروز هذا المفهوم.

ويرى آيدن أن مما عزز هذه الفكرة؛ هو التواصل الكبير بين المسلمين في منتصف القرن التاسع عشر الذي أسهم فيه بشكل مباشر ظهور التقنيات البدائية كالتلغراف، ووسائل النقل كالسفن البخارية وغيرها، فزاد ذلك من سهولة الاتصال فيما بينهم. وعندها بدأت فكرة العالم الإسلامي تتبلور بشكل واقعي.

إلى الكيانات الوطنية" صدر الكتاب عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ويضم عدداً من الأبحاث المنتقاة التي قدمت في مؤتمر عقده المركز بالعنوان نفسه في بيروت، في 21 و22 نيسان/ أبريل 2017، ضمن مؤتمره السنوي للدراسات التاريخية.

(9) أوراسيا كلمة تشير إلى قارتي أوروبا وآسيا كتكتلة واحدة، تقع أوراسيا في شمال الكرة الأرضية. اعتبرها العديد من الجغرافيين كقارة واحدة مثل الأمريكيتين وأفريقيا، حيث إن القارتين غير منفصلتين بمحيط أو بحر كبير. قسم الإغريق العالم إلى ثلاث مناطق: آسيا وأوروبا وأفريقيا، وهذا الاستخدام لا يزال سائداً حتى الآن. كما يوجد أيضاً تقسيم آخر هو أوراسيا الشرقية والغربية. تمثل أوراسيا الغربية أوروبا والشرق الأوسط، كما هو شروحاً بواسطة الصحراء الكبرى. وتمثل أوراسيا الشرقية بقية آسيا عدا منطقة الشرق الأوسط منها (موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية). وقد شهد هذا المصطلح تنامياً ملحوظاً في السنوات المتأخرة لعدة اعتبارات جيوسياسية. انظر بحثاً أكاديمياً بعنوان: عودة أوراسيا للباحثة منى مصطفى بمجلة المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة العدد (6) إبريل 2019م أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة.

(7) عبد الله يوسف علي؛ ولد عام 1822م وهو من علماء الهند المسلمين وصاحب أشهر ترجمة للقرآن الكريم للغة الإنجليزية. ينتمي لطائفة البهرة التي منها شيعنة وسنة وهنادك؛ وكان هو من أهل السنة. عُيّن عميداً للكلية الإسلامية بمدينة لاهور وبها بدأ ترجمته للقرآن، طبعت رابطة العالم الإسلامي ترجمته عام 1385هـ-1965م وصدرتها بكلمة حول الترجمة توفي عام 1953م. انظر: ترجمات معاني القرآن وتطور فهمه عند الغرب للدكتور عبد الله الندوي ص113 ضمن سلسلة كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي العدد 174 السنة الخامسة عشرة - جمادى الآخرة 1417هـ.

(8) لم أجد له ترجمة. وقصة هذا اللقاء أشار إليها كتاب: العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو، تحت فصل بعنوان: دور الهنود البريطانيين في تطوير حركة الخلافة. والكتاب عبارة عن مجموعة بحوث لعدد من الباحثين، وهذا الفصل من بحث بعنوان: موقف مسلمي الهند من حركة الجامعة الإسلامية وتأثيرها في حركة الخلافة في الهند دراسة تاريخية في ضوء المصادر الهندية والوثائق البريطانية؛ لصاحب عالم الندوي. انظر: "العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو - من 1516م إلى 1916م- تحولات بنى السلطة والمجتمع: من الكيانات والإمارات السلطانية

فأما الطريق الأولى: فهي طريق الراديكاليين الإسلاميين؛ وقد كان من خلال استدعاء التراث الإسلامي في مسألة الدور، وأن العالم ينقسم إلى دارين لا ثالث لهما؛ دار إسلام ودار كفر، وأن دار الكفر مهما تطاول الزمان يجب أن تخضع لدار الإسلام. ومثل آيدن على هذا الطريق بأسامة بن لادن، وقال بأن فكرته كفكرة صموئيل هنتنغتون " Samuel Huntington " في صراع الحضارات. كما سيأتينا في العامل الثاني.

وكذلك الحال بالنسبة للإسلاميين الراديكاليين، أو الجماعات الإسلامية المؤمنة بحتمية الصراع، أو تلك التي تنصب نفسها بموقع الخلافة للمسلمين أمثال داعش "ISIS" ¹¹ في العراق وسوريا وخليفتهم أبو بكر البغدادي؛ لذلك تلهم دعوتهم الاتباع المتهين لهذا الفكر في أرجاء العالم والمحمليين بفكرة الخلافة نفسها التي تؤمن بها داعش. وفي الوقت نفسه تغذي فكرة الخوف من الإسلام "Islamophobia" في الاتحاد الأوروبي وأمريكا؛ فيصرون على تصنيف قادة داعش والضحايا الأبرياء من المسلمين -على حد سواء- كأفراد من نفس العرق وينتمون إلى نفس العالم الإسلامي. إن خلافة داعش الكاريكاتورية قد يكون غاب عنها أن خلفاء المسلمين والحكام المسيحيين كانوا يتبادلون بفخر الأوسمة والنياشين التي تدل على عمق الصداقة فيما بينهم.

كما يشير آيدن إلى أنه من الجدير بالملاحظة والأهمية؛ أن الدعاية الغربية المعادية للمسلمين، وأطروحات التاريخ الإسلامية؛ تشبه بعضها بعضاً فكلاهما يعتمد على السرد الحضاري للتاريخ، وعلى التقسيم الجيوسياسي للعالم في كيانات منفصلة وغير تاريخية؛ مثل إفريقيا السوداء والعالم الإسلامي وآسيا والغرب. كما أن النزعة الإسلامية المعاصرة تستلهم ماضياً مجيداً كما يرى عامة الإسلاميين. بالرغم أن نشأة الأمة أو الجالية الإسلامية في جميع أنحاء العالم كانت في وقت لم يكن المسلمون يتعرضون للإذلال من قبل الإمبراطوريات العنصرية البيضاء، أو من

قبل نهاية الإمبراطوريات الأوروبية العنصرية في أواخر القرن التاسع عشر.

هكذا يرى آيدن كيف تشكلت هذه الفكرة الحديثة وتبلورت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكيف أن الواقع المشاهد اليوم لا يخدم هذه الفكرة المزعومة! ولكن هناك عوامل كثيرة أدت لظهور فكرة العالم الإسلامي وأسهمت فيه بشكل مباشر أو غير مباشر نستطيع أن نلاحظها مفرقة فيما كتبه آيدن. وباستقراء كلامه في كتابه "فكرة العالم الإسلامي" وفي المقال الذي شرح فيه الفكرة بشكل آخر؛ يمكن أن نلاحظ بوضوح: إن العوامل التي أدت لظهور فكرة العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر -عنده- تعود إلى ثلاثة عوامل، يمكن تقسيمها على النحو التالي؛ **عامل داخلي** برز من خلال المسلمين أنفسهم، و**عامل خارجي** من الغرب المسيحي؛ وتحديدًا من خلال أولئك الخائفين من الإسلام المؤمنين بنظرية صدام الحضارات " Clash of Civilizations " أمثال صموئيل هنتنغتون " Samuel Huntington " وبرنارد لويس " Bernard Lewis " ¹⁰ وغيرهم.

أما العامل الثالث؛ فهو **عامل مشترك** بين المسلمين في العالم الإسلامي وبين المسيحيين في العالم الغربي أدى لظهور هذا التمايز بين العالمين. وسنتحدث عن هذه العوامل بالتفصيل من خلال ما كتبه آيدن.

العامل الأول:

فأما العامل الذي أدى لظهور فكرة العالم الإسلامي من قبل المسلمين أنفسهم؛ فقد جاء بطريقتين: طريق الراديكاليين الإسلاميين، أو الجماعات الإرهابية التي استدعت هذه الفكرة من تراث المسلمين، والتي تقضي بتقسيم العالم إلى دارين لا ثالث لهما؛ دار إسلام ودار كفر.

كما جاء من طريق المفكرين المسلمين الذين نهضوا في أواخر القرن التاسع عشر، وانبروا للدفاع عن الإسلام ضد الشبه المثارة حوله من مثل: عدم صلاحية الإسلام للعصر الحديث الذي انبثقت فيه العلوم والحضارات وبلغت فيه أوجها.

(10) سيأتي التعريف بهما عند الحديث عن العامل الثاني.

(11) اختصار يشير إلى مسمى داعش في الإنجليزية "Islamic State of Iraq and Syria" الدولة الإسلامية في العراق وسوريا.

(Wilfrid Scawen Blunt)¹²؛ ففي كتابه المؤثر "مستقبل الإسلام" (1882)، زعم أن الإمبراطورية العثمانية ستطرد في النهاية من أوروبا، وأن روح أوروبا الصليبية ستحوّل اسطنبول إلى مدينة مسيحية. كما زعم بلنت أيضاً أن الإمبراطورية البريطانية، التي تفتقر إلى كراهية المسلمين من النمساويين والروس أو الفرنسيين؛ يمكن أن تصبح حامية للسكان المسلمين في العالم وفي آسيا تحديداً. وبطريقة متعجرفة وإمبريالية؛ بدا أن بلنت يهتم بمستقبل المسلمين حيث كان مؤيداً وصديقاً للإصلاحيين المسلمين البارزين مثل الأفغاني ومحمد عبده، كما كان بمثابة وسيط بين الدوائر الفكرية الأوروبية والإصلاحيين المسلمين. وفي نفس الوقت الذي كتب فيه بلنت مزاعمه تلك؛ قام المفكر الفرنسي المؤثر إرنست رينان (Ernest Renan)¹³ بصياغة وجهة نظر سلبية للغاية عن الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالعلم والحضارة. حيث رأى رينان أن الإسلام كدين سامٍ يعرقل تطور العلم والعقلانية؛ فأفكاره ترمز لعنصرية المسلمين التي استقوها منه! لقد كان رينان يقدم آراءه هذه في باريس، التي حكمت أجزاء كبيرة من شمال إفريقيا المسلمة وغربها، وقد ساعدت أفكاره على توجيه الحكم الاستعماري الفرنسي. لذلك كتب جمال الدين الأفغاني¹⁴ والعديد من المثقفين المسلمين الآخرين ردوداً على آراء رينان. لقد تمتعت آراءه بمزيد من النجاح في خلق قصة مشتتة لحضارة إسلامية منفصلة مقابل حضارة غربية مسيحية. أخذ المفكرون المسلمون يبرزون جوانب التناغم بين الإسلام والعصر الحديث؛ حتى أصبح هذا سمة بارزة في كل المجتمعات الإسلامية. واستدعوا من التراث بعض الصراعات الفكرية والفلسفية أمثال الصراع بين الغزالي وابن رشد حول المواءمة بين الوحي والعقل. وأخذت مثل هذه النقاشات تدور في أروقة الدراسات المعاصرة.

قبل القوى الغربية العدوانية؛ وإنما أراد المسلمون أن يجعلوا الأمة عظيمة من جديد. ومنذ الثورة الإيرانية 1979م قام المتطرفون الإسلاميون-ومثلهم الصحفيون الغربيون- بنشر فكرة العالم الإسلامي؛ فالتيار الإسلامي المعاصر يستمدّ وحدته من المثل الإسلامية القديمة؛ لأنها في نظرهم السبيل الأمثل لاستعادة النقاء الديني البكر. ووفقاً لهذا الرؤية؛ فإن هذا التيار يُعدّ حركة رجعية خاضعة للتقاليد القديمة، وللشريعة الإسلامية الكلاسيكية؛

فهو يؤكد دائماً على العودة للموروث الإسلامي، وعلى خصوصية الإسلام، وعلى أنه يجب أن يتجاوز الانتماء الديني للمسلمين أيّ انتماءاتٍ سياسية أخرى. وهذا التيار الإسلامي المعاصر بنظره الرجعية؛ ليس باقياً على قيد الحياة فحسب، بل لا يزال يتنامى في العالم المعاصر، وهو بمثابة تحفة حضارية عتيقة، غير أنها تتعارض مع العصر الحديث ولا تستطيع التعايش معه.

وأما الطريق الثانية التي أدت لتشكّل فكرة العالم الإسلامي من الداخل المسلم؛ فهي طريق المفكرين الإسلاميين، التي جاءت كردة فعل للهجمات الفكرية من قبل المفكرين الغربيين على الإسلام والحضارة الإسلامية، فهب المفكرون المسلمون يزودون عن حياض حضارتهم الإسلامية الأصيلة، وعن دينهم الخاتم القويم الذي ارتضاه الله لهم.

فخلق هذا الدفاع انحيازاً فكرياً لدى المسلمين على اختلاف طبقاتهم؛ فتشكّلت من خلاله هويتهم، وتبلورت في أثنائه رؤيتهم؛ فأصبحوا بمجموعهم عالماً إسلامياً في مقابل العالم الغربي المسيحي ومفكره؛ الذين وصموا الإسلام وحضارته بالتخلف والرجعية في زمن الثورة العلمية التكنولوجية الهائلة. إن الذي أذكى أوار هذا الدفاع؛ هو الطرح غير العادل من قبل مفكري الغرب، الذين مثل لهم آيدن بالمستشرق والشاعر الانجليزي ويلفريد سكويون بلنت

انظر: المقدمة الضافية لعلي أدهم عند ترجمته لكتاب رينان "حوارات رينان الفلسفية" الطبعة الثانية دار الكتب المصرية 1998م -القاهرة. وكتاب: الفكر العربي وصراع الأضداد ص159 لمحمد جابر الأنصاري الطبعة الثانية 1999م المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت-لبنان.¹⁴ (سيأتي الحديث عنه عند نقد موقف آيدن منه.

(12) سيأتي الحديث عنه عند نقد موقف آيدن منه ومن كتابه.
(13) جوزيف إرنست رينان Joseph Ernest Renan مستشرق فرنسي ولد عام 1823م بدأ حياته كاثوليكياً ثم تأثر بالفلسفة الألمانية وخصوصاً هيجل. عرف بأرائه المتطرفة ضد الإسلام والعقلية الإسلامية، رد عليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما توفي عام 1892م.

الذهبي للمسلمين في الفلسفة وقضايا الحياة؛ الذي أثر بدوره في النهضة الحديثة لأوروبا مثل فلسفة ابن رشد، وابن سينا.

لقد كانت أمثال هذه الادعاءات من قبل النخب الفكرية الأوروبية تؤكد على حضارية غربية، وتفوق للحضارة المسيحية الغربية؛ وعلى أهميتها للتمهيد للمشروعات الاستعمارية، حيث تناول المثقفون الأوروبيون مشاريع واسعة لتصنيف الإنسانية إلى تسلسل هرمي على أساس العرق والدين، ولكنها خلقت في المقابل ردة فعل على هذا التأكيد "الشوفيني" (chauvinistic)؛ وهي أن المفكرين المسلمين كانوا يرون في الحضارة الإسلامية قصة مضادة تماماً لهذه العنصرية، فقاموا بمحاولات عديدة للتأكيد على كرامتهم ومساواتهم، كما أكدوا على تألق وحدثاته ولطف "العالم الإسلامي" في الماضي.

كان هؤلاء المعارضون المسلمون للأيديولوجية الإمبريالية الأوروبية، وللتفوق الحضاري للعرق الأبيض على المسلمين والأعراق الملونة الأخرى؛ هم أول الإسلاميين عموماً الذين واجهوا هذا الفكر العنصري.

وهكذا كان للتفكير الإسلامي المعاصر والحديث عن الحضارة الإسلامية؛ أثر كبير في خلق الترابط بين أطراف العالم الإسلامي، وبروز فكرة العالم الإسلامي.

العامل الثاني:

كما كتب المثقفون المسلمون كتباً تصوغ بشكل أساسي أو تشتمل على أمثال هذه العناوين: "روح الإسلام" "الإسلام والتقدم" – "صعود وهبوط الإسلام" – "المسيحية والإسلام" – "حقوق المرأة في الإسلام" بينما في السابق لم تكن هذه العناوين موجودة.

ثم ذكر آيدن نماذج لبعض المصلحين الذين كانت أفكارهم تلهم الوحدة الإسلامية مثل: سيد أحمد خان،¹⁵ وسيد أمير علي¹⁶، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان¹⁷، ومحمد أسد¹⁸. ليس من خلال الأفكار فقط؛ بل كان لديهم جداول أعمال على المستوى الأخلاقي والسياسي كذلك.

وعلى سبيل المثال؛ يطرح آيدن مسألة إلغاء العبودية والرق كمثال على موقف الإسلام من القضايا المعاصرة؛ فيقول: إنه عندما حظر حاكم تونس أحمد بك الرق منتصف القرن التاسع عشر؛ أيده علماء الشريعة، ولكن منطقهم لم يكن انعكاساً لموقف الإسلام من الرق؛ فقد قيل: إن علماء مصر وزنجلار ربما كانوا يحكمون بشكل مختلف. ولكن الإسلام كان سابقاً لفكرة إلغاء العبودية والرق والتمييز العنصري، على خلاف المسيحية التي كانت تتغاضى عنها، ومن هنا برز الفكر الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لهزيمة مثل هذه الأفكار العنصرية، وكان لبروزه أثر واضح من خلال مناقشة موضوعات حقوق الإنسان، وموضوعات القضايا الفلسفية والفكرية في الإسلام مثل: حقوق المرأة، والمطالبة باحترام الكيان المسلم، والدعوة إلى استلهاهم العصر

15 (سبقت الترجمة له.

16 (ولد سيد أمير علي عام 1849م لأب مسلم اسمه سعادة علي وأم إنجليزية اسمها إيزابيل، وهو سليل أسرة عربية شيعية خدمة في البلاط الصفوي، كانت تستوطن خراسان. كان قاضياً ومفكراً؛ ألف عن الإسلام والعرب له كتاب: روح الإسلام الذي أشار إليه آيدن وكتاب: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي وغيرها توفي عام 1928م. ترجم له الأستاذ محمد عبد الله أفندي عنان المصري ونشرها محمد رشيد رضا في مجلة المنار 352/29 وانظر: رواد التجديد في الإسلام: 1840 – 1940م تأليف تشارلز كورزمان ص 649

17 (أديب ومفكر وسياسي لبناني، ولد عام 1869م لقّب بأمير البيان؛ لغزارة انتاجه الشعري والأدبي. اتصل بجمال الدين الأفغاني وتأثر به كثيراً وكذلك محمد عبده. كان من أوائل من دعا إلى إنشاء الجامعة العربية. اشتهر برحلاته وتدوين مشاهدته فيها توفي عام 1946م. انظر: الأمير أرسلان حياته وآثاره للدكتور سامي الدهان الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة.

18 (محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً) ولد في الإمبراطورية النمساوية الهنغارية عام 1900، وتوفي في إسبانيا عام 1992م. وهو كاتب وصحفي

ومفكر ولغوي وناقد اجتماعي ومصلح ومترجم ودبلوماسي ورحالة مسلم (يهودي سابقاً) درس الفلسفة في جامعة فيينا؛ وقد عمل مراسلاً صحفياً وبعد منحه الجنسية الباكستانية تولى عدة مناصب منها منصب مبعوث باكستان إلى الأمم المتحدة في نيويورك. طاف العالم، ثم استقر في إسبانيا وتوفي فيها ودفن في غرناطة. له العديد من المؤلفات في الفكر الإسلامي مثل كتاب الإسلام على مفترق الطرق وكتاب سياسة الحكم في الإسلام، وانظر قصة إسلامه في كتابه الطريق إلى مكة: موسوعة ويكيبيديا على الانترنت النسخة العربية والإنجليزية.

19 (الشوفينية chauvinistic هي المغالاة والاعتقاد في الوطنية، وتفوق جماعة أو وطن على غيره من الجماعات أو الأوطان. وشوفيني مشتقة من اسم نيكولا شوفان Nicolas Chauvin وهو عسكري فرنسي كان يعمل تحت إمرة نابليون، وكان معروفاً بوطنيته المفرطة. معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية ص 64 للدكتور حسام الدين جاد الرب. دار العلوم 2011م

أعطاه تصويراً فكرياً، وألهم عمل صمويل هنتنغتون الأكثر شعبية "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" (1996). كما كتب لويس "إن الصراع بين هذه الأنظمة المتنافسة في العالم الإسلامي وفي الغرب المسيحي؛ مستمر منذ حوالي 14 قرناً؛ بدأت مع ظهور الإسلام في القرن السابع، واستمرت تقريباً إلى يومنا هذا. لقد تألف هذا الصراع من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة، والجهاد، والحملات الصليبية، والفتوحات الإسلامية، وإعادة الاستعمار". وكذلك كانت كل الجماعات اليمينية المتطرفة، والفاشيون الجدد المناهضين للمسلمين في أوروبا والولايات المتحدة؛ متوجسين من التوسع الإمبراطوري العثماني في أوروبا الشرقية، ويرون في الحصار العثماني لفينا عام 1683م سيطرةً للحضارة الإسلامية على "الغرب". بالرغم أن في معركة فيينا، تحالف فيها المجريون البروتستانتيون مع الإمبراطورية العثمانية ذات الأغلبية المسلمة ضد هابسبورغ الكاثوليكية!. لقد كان صراعاً معقداً بين الإمبراطوريات والولايات، وليس صراعاً بين الحضارات كما تعتقد هذه الجماعات المتطرفة.

كما لقيت القوميات الأوروبية المزدهرة في المسلمين عدواً مفيداً لإثبات مخاوفهم، وتحديدًا السلطان العثماني؛ ففي أواخر القرن التاسع عشر، بدأ القوميون اليونانيون والصرب والرومانيون والبلغاريون بتصوير السلطان العثماني على أنه مستبد. وناشدوا

وهو العامل الخارجي من خارج البيئة الإسلامية؛ وذلك عن طريق الغرب المسيحي؛ وتحديدًا من خلال أولئك الخائفين من الإسلام المؤمنين بنظرية صدام الحضارات، "Clash of Civilizations" أمثال برنارد لويس²⁰ "Bernard Lewis" وصمويل هنتنغتون²¹ "Samuel Huntington" وغيرهم، شاركهم في ذلك وسائل الإعلام الغربية؛ التي ساهمت في نشر فكرة صراع الحضارات، وإبراز النظرة الكلاسيكية للتيارات الإسلامية الراديكالية في تصورهم للعالم الإسلامي؛ استناداً لفكرة دار الكفر ودار الإسلام كما أسلفنا.

في عام 1990م كتب برنارد لويس مقالته الجريء في مجلة الأطلسي The Atlantic²² : "جذور الغضب الإسلامي" أشار فيه إلى النظرة الإسلامية الكلاسيكية، التي بدأ العديد من المسلمين بالعودة إليها، والتي تقسم العالم وكل البشرية إلى قسمين: دار إسلام؛ حيث تسود الشريعة الإسلامية والإيمان، وباقي العالم دار كفر أو دار حرب، وواجب المسلمين في نهاية المطاف أن يأتوا بهم إلى الإسلام. لقد خلق لويس شيئاً من الشك حول أن الزعم بأن هذا "واجب المسلمين" يعني أن يكون ذلك من خلال وسائل عنيفة، والالتزام بحرب مقدسة تبدأ من الداخل وتستمر إلى الخارج ضد نفس العدو من الكفار.

ربما لم يكن لويس قد أنشأ فكرة العالم الإسلامي من تلقاء نفسه؛ إذ كانت سائدة في الفكر الغربي، ولكنه

(21) ولد هنتنغتون عام 1927م كان عالماً سياسياً، ومستشاراً، وأكاديمياً أمريكياً. أمضى أكثر من نصف قرن في جامعة هارفارد، حيث كان مديراً لمركز هارفارد للشؤون الدولية. أثناء رئاسة جيمي كارتر، كان هنتنغتون منسق البيت الأبيض للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي. خلال حقبة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا في الثمانينيات، عمل كمستشار لخدمات الأمن. اشتهر بنظريته في عام 1993، "صراع الحضارات" لنظام عالمي جديد بعد الحرب الباردة وقال أن الحروب المستقبلية لن تخوض بين الدول، ولكن بين الثقافات، وأن التطرف الإسلامي سيصبح أكبر تهديد للسلام العالمي. توفي عام 2008م. انظر كتابه صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ترجمة طلعت الشايب وتقديم صلاح قصوة منشورات سطور. الطبعة الثانية 1999م. وانظر في التعريف به موسوعة ويكيبيديا (النسخة الإنجليزية).

(22) مجلة شهرية أمريكية، تأسست في عام 1857م في بوسطن، ماساشوستس، ومنذ عام 2006م أصبحت تصدر من واشنطن العاصمة (انظر موقع المجلة على الانترنت. ويكيبيديا).

(20) مستشرق بريطاني أمريكي ولد عام 1916م، حصل على البكالوريوس في الأدب من قسم التاريخ بجامعة لندن، التحق بجامعة باريس معهد الدراسات السامية وحصل منها على دبلوم الدراسات السامية، ثم عاد إلى جامعة لندن لينال درجة الدكتوراه عن رسالته في الأصول الإسماعيلية تحت إشراف المستشرق هملتون جب. التحق بالجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الثانية وأعيرت خدماته إلى وزارة الخارجية، ثم عاد للجامعة في منصب رئيس قسم التاريخ بجامعة لندن بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية من 1957م حتى عام 1974م. انتقل بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على الجنسية الأمريكية عام 1982م، عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية، وحضر الكثير من الندوات والمؤتمرات حول الدراسات العربية والإسلامية. له العديد من المؤلفات من أشهرها: العرب في التاريخ، الإسلام في التاريخ، اللغة السياسية في الإسلام، الحشاشون أول فرقة ثورية في الإسلام، صدام الحضارات: المسيحيون والمسلمون واليهود في عصر الاكتشافات. انظر ترجمته في بحث بعنوان: نظرية الصراع الحضاري في الفكر الاستراتيجي الأمريكي: تحليل ونقد لدراسة برنارد لويس "جذور الغضب الإسلامي" للدكتور طيبي بلهاسمي وإبراهيم بن عمار بجامعة وهران - مجلة القانون، المجتمع والسلطة مجلد 8 عدد 1 عام 2019م.

أن يكونوا متساويين مع المسيحيين في المعاملة والحقوق.

إن الشعور بهذا التمايز خلق -بحسب آيدين- نوعاً من الاستعلاء بالشعور الديني، واعتقاد أن المسلمين الأفضل في التقوى والدين في مقابل عالم لبرالي متفتح، غير أن هذا لا يدعمه الدليل ولا الواقع؛ فكثير من الدول الإسلامية وقفت لاحقاً مع الغرب المسيحي في تمدنه وانفتاحه.

وكأنه يشير هنا إلى أنهم وقعوا في فخ أنهم وحدة مختلفة ومتميزة، وتقف في مقابل العالم الغربي المسيحي؛ فتشربوا من حيث لا يشعرون فكرة العالم الإسلامي المتمايز عن غيره.

فهم فكرة وحدة العالم الإسلامي في سياق وحدات أخرى:

إن فكرة العالم الإسلامي الحديثة -من وجهة نظر آيدين- ينبغي أن تفهم في سياقها الطبيعي، مثلها مثل الوحدة الأفريقية والآسيوية التي تسعى للمطالبة بالحقوق والحريات، والمساواة بدول العالم؛ ولا يجب أن تُفهم على أنها فكرة صراع ومغالبة بين العالم الإسلامي وبين العالم الغربي المسيحي، كما يروج لها الراديكاليون الإسلاميون في العالم الإسلامي، وكذلك يروج لها المؤمنون بنظرية صراع الحضارات في العالم الغربي المسيحي على حد سواء.

لقد أشار آيدين إلى وجود ارتباط وثيق بين هذه الوحدات الثلاث -الإفريقية والآسيوية والإسلامية- فالوحدة الإسلامية - وإن كانت في الواقع- جديدة نسبياً وليست استثنائية؛ فإنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوحدة الأفريقية والوحدة الآسيوية اللتين برزتا في ثمانينيات القرن التاسع عشر رداً على طغيان الإمبريالية الأوروبية.

في البداية، كانت فكرة التضامن الإسلامي العالمي تهدف إلى: إعطاء المسلمين المزيد من الحقوق داخل الإمبراطوريات الأوروبية، ورفض فكرة تسيد الأبيض المسيحي على غيره، وتأكيد مساواة الدول الإسلامية بنظيراتها من دول العالم في القانون الدولي.

الليبراليين البريطانيين كسر التحالف العثماني البريطاني نيابة عن التضامن المسيحي العالمي. وقال الليبراليون المناهضون للعثمانيين مثل **وليام جلدستون**²³: إن التضامن المسيحي يجب أن يكون ذا أهمية بالنسبة للقرارات البريطانية فيما يتعلق بالإمبراطورية العثمانية. وفي ذات السياق أشار السلطان العثماني إلى صلته الروحية مع المسلمين الهنود، وطالب بالعودة إلى التحالف العثماني البريطاني بفضل هذه العلاقة الخاصة بين هاتين الإمبراطوريتين المسلمتين الكبيرتين.

ولا تزال هذه هي النظرة الغربية السائدة إلى القومية الإسلامية، والتي يتم التعبير عنها في العبارة الشائعة في مجال الصحافة والنقد بـ "العالم الإسلامي" في مقابل العالم الغربي المسيحي.

إن فكرة الصدام القديم بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي؛ هي أسطورة خطيرة وحديثة، وهي تعتمد على تحريفات ملفقة للوحدات الجيوسياسية للحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المنفصلتين.

لقد أدى هذا الادعاء غير الصحيح بوجود صراع حضاري -سواء من قبل برنارد لويس أو أسامة بن لادن أو غيرهما- إلى تعزيز فكرة العالم الإسلامي الزائفة، التي لا يشهد لها الواقع، ولا تسعفها الدلائل.

العامل الثالث:

وهو عامل مشترك بين المسلمين والمسيحيين؛ وهو الشعور بالاستعلاء والأفضلية على الآخر يقول آيدين: إن فكرة العالم الإسلامي لا يمكن فصلها عن فكرة أن المسلمين عرق، وأن الالتفاف حول هذا العرق بدأ في ثمانينيات القرن الثامن عشر عندما كان المسلمون والغرب المسيحي يعيشون في ذات الإمبراطوريات، مما خلق عنصرية لدى المسلمين والمسيحيين على حد سواء؛ حيث اعتقد كل منهم أنه هو صاحب العرق السامي.

كما أدى اختلاف الديانات إلى تعطيل وإنكار حقوق المسلمين داخل الإمبراطوريات الأوروبية. حينها لم يستطع المثقفون المسلمون رفض واقع الاختلاف (العرق والديني) غير القابل للرفض؛ ولكنهم أرادوا

امتدت لأربع فترات من عام 1868م حتى عام 1894م. في فترته الثانية غزت بريطانيا مصر توفي عام 1898م. ويكيبيديا النسخة الإنجليزية.

23 (ولد جلدستون عام 1809م وقد كان رجل الدولة البريطانية والليبرالي السياسي . عمل لمدة 12 عامًا رئيس وزراء للمملكة المتحدة ،

الأفريقية مثل: وليام إدوارد بورغاردت دو بويز²⁵ "W E B Dubois" أو دعاة الوحدة الآسيوية مثل: روبندرانات طاغور²⁶ "Rabindranath Tagore" من حيث مفهوم الوحدة؛ فقد أكد عامة الإسلاميين -مثلهم في ذلك مثل عامة الأفريقيين والآسيويين- على أن الإمبراطوريات الأوروبية تمارس التمييز ضد الأفارقة والآسيويين والمسلمين، سواء داخل الإمبراطوريات أو في الشؤون الدولية. لقد اعترض الثلاثة على العنصرية الأوروبية والهيمنة الاستعمارية، أملين بعالم أفضل وأكثر حرية لغالبية البشر على وجه الأرض.

ومع ذلك، لم تكن هناك ثورات إسلامية ضد الاستعمار من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين. وإنما كان التهديد المزعوم للإسلاميين قد ظهر أول ما ظهر بارزاً في الغرب إبّان الحرب العالمية الأولى. ويرجع ذلك -جزئياً- إلى أن الإمبراطوريتين العثمانية والألمانية روجتا له في إطار التعبئة للحرب. ورغم ذلك -أيضاً- لم يكن هناك ثورة إسلامية خلال الحرب العالمية الأولى؛ فقد كان مئات الآلاف من الجنود المسلمين يخدمون في الإمبراطوريات البريطانية والفرنسية والروسية.

كعضو في النخبة السوداء التي دعمت بعض جوانب تحسين أوضاع السود؛ حيث كان أحد مؤسسي الجمعية الوطنية لتحسين أوضاع الملونين ترك العديد من المؤلفات الفكرية والأدبية. توفي عام 1963م. انظر في فكره ما كتبه عالم الاجتماع الأمريكي تشاندلر في كتابه مشكلة الزنجي كمسألة للفكر من مطبوعات جامعة فوردهام 2014م:

The Problem of the Negro as a Problem for Thought - by Nahum Dimitri Chandler - Fordham University Press, 2014

26 (ولد طاغور في كالكوفا في الهند عام 1861م لأسرة من طبقة البراهما الكهنوتية، كان والده مصلحاً اجتماعياً ودينياً معروفاً وسياسياً ومفكراً بارزاً. أما والدته سارادا ديفي فقد أنجبت 12 ولداً وبناتاً قبل أن ترزق بطاغور. كانت الأسرة معروفة بتراتها ورفعة نسبها، حيث كان جد طاغور قد أسس لنفسه إمبراطورية مالية ضخمة، وكان آل طاغور رواد حركة النهضة البنغالية إذ سعوا إلى الربط بين الثقافة الهندية التقليدية والأفكار والمفاهيم الغربية. لم ينتظم طاغور في أي مدرسة فتلقى معظم تعليمه في البيت على أيدي معلمين خصوصيين، وتحت إشراف مباشر من أسرته. عارض طاغور الإمبريالية ودعم القوميين الهنود وذكر أنه طلب دعم رئيس الوزراء الياباني تيراوتشي ماساتاكى، ورئيس الوزراء السابق سكوما شيجينوبو حصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1913م. وكان أول من يحصل عليها من غير الأوروبيين. توفي عام 1941م (انظر موسوعة ويكيبيديا بالعربية والإنجليزية على الإنترنت).

إن الوحدة الأفريقية والوحدة الآسيوية تقدم سياقاً أفضل لفهم الوحدة الإسلامية؛ فقد ظهرت الوحدات الثلاث في أواخر القرن التاسع عشر -أي في ذروة عصر الإمبراطورية- وعارضت سيادة الرجل الأبيض؛ فاتفقت في ذات الهدف، واشتركت في نفس المبدأ. لم يكن على الإسلاميين في عصر الإمبراطورية أن يقتنعوا إخوانهم المسلمين بالوحدة العالمية لدينهم المشترك من خلال التمييز العنصري بين الرعايا، أو على أساس الهوية الدينية؛ وإنما خلق المستعمرون هذه الأسس والمفاهيم للوحدة الإسلامية الحديثة.

في ذلك الوقت الذي حكمت فيه الإمبراطوريات البريطانية، والهولندية، والفرنسية، والروسية غالبية المسلمين في العالم -مثلما حكمت الأفارقة والآسيويين- كان الإسلاميون المثقفون الأوائل يريدون مواجهة خيالات وإهانات واستغلال الهيمنة الاستعمارية الغربية، ولم يكونوا يرغبوا بالضرورة في رفض العالم الإمبراطوري أو واقع الإمبراطوريات في العالم.

لقد كان المفكران الإسلاميان البارزان؛ جمال الدين الأفغاني، وسيد أمير علي، يشبهان بقوة دعاة الوحدة

24 (يشير عالم الآثار البريطاني هوارد وليامز إلى أن بدايات استخدام مصطلح الأنجلو سكسون كان في القرن الثامن، وأنه أعيد استخدامه في القرن الثامن والتاسع عشر، وهو مصطلح يشير إلى الشعوب أو القبائل: الأنجل والسكسون الذين سكنوا بريطانيا قديماً، وكانوا يتكلمون الإنجليزية للتمييز بينهم وبين الناطقين بغيرها من اللغات ... وقد أثر هذا المصطلح في ذلك الوقت من أجل العصبية العرقية وتفوق الرجل الأبيض؛ وقد استخدمه متطرفون سياسيون لإثارة النزعات والعصبية بين الشعوب؛ لذلك يطالب دعاة المساواة ونبذ التعصب بعدم استخدامه بينما يجادل وليامز عن ذلك باعتباره مصطلحاً تاريخياً، وأن الواجب استبعاد العصبية وليس المصطلحات التاريخية ولا الآثار المميزة للأمم في حقبة تاريخية معينة...

انظر كتابه بالإنجليزية المعنون بـ: الموت والذاكرة في بريطانيا في العصور الوسطى المبكرة:

Death and Memory in Early Medieval Britain by Howard Williams The book was first published by Cambridge University Press as part of their series "Cambridge Studies in Archaeology" in 2006.

25 (ولد عام 1868م، وهو عالم اجتماع أمريكي، كان ناشطاً في الحقوق المدنية وخصوصاً حقوق السود والوحدة الأفريقية درس في جامعة برلين وهارفارد فكان أول أمريكي من أصل أفريقي يحصل على درجة الدكتوراه، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد في جامعة أتلانتا؛ نظراً لمساهماته في المجتمع الأمريكي الأفريقي، فقد كان يُنظر إليه

ولازال الرهان على آمال الجيل الأفريقي في أفريقيا - من دو بويز W E B Dubois إلى فرانتز فانون²⁷ Frantz Fanon - من أجل مستقبل أكثر اتحاداً في إفريقيا؛ رهاناً خاسراً ومحبطاً للأجيال القادمة.

وأما في آسيا فمع وجود قوى عظمى متعددة مثل الصين والهند واليابان؛ فإن آسيا التي انتهى استعمارها اليوم كانت ستفخر بدعاة الوحدة الآسيويين في القرن العشرين، غير أن الوحدة المأمولة في القرن العشرين اتخذ مساراً معقداً؛ فقد أدى استغلال اليابان للوحدة الآسيوية من أجل مباركة احتلالها الاستعماري للصين وكوريا إلى ترك العديد من المؤيدين لها يشعرون بالخيانة.

كما أن السياسة الخارجية المستقلة للهند تحت قيادة **جواهر لال نهرو**²⁸ أظهرت التزاماً ببعض المبادئ الآسيوية، التي احتفظت بالنداء الشعبي في مؤتمر **باندونغ** لعام 1955م وكان هذا الاجتماع الذي يضم 29 دولة آسيوية وأفريقية، بمعنى أنه يضم أكثر من نصف سكان العالم؛ آخر تعبير رئيسي للتضامن الآسيوي، وقد تم إدراجه لاحقاً في منافسات الحرب الباردة، ومشاريع بناء الدولة القومية.

وخلال القرن الماضي دخلت الوحدة الإسلامية في سلسلة من النوبات؛ من تركيا ومصر إلى إندونيسيا والجزائر، وتمكنت فكرة "الفكر الإسلامي" و"التضامن الإسلامي العالمي" عند القادة والحركات القومية في القرن العشرين، وبحلول منتصف الستينيات من القرن العشرين؛ حصل غالبية مسلمي العالم على التحرر من الحكم الاستعماري الأوروبي.

وكان البرلمان التركي قد ألغى الخلافة العثمانية في عام 1924م وبحلول خمسينيات القرن العشرين؛ تم نسيان الخلافة تقريباً.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية؛ ارتبطت الوحدة الآسيوية بعود الإمبراطورية اليابانية بتحرير الأجناس الملونة في آسيا من الهيمنة البيضاء. وفي أعقاب هزيمة اليابان، شطب الاستعمار التاريخي لأفريقيا صورة الوحدة الأفريقية من بين المخاوف الأوروبية.

وبحلول ستينيات القرن العشرين، مع تلاشي العالم الاستعماري واستبداله بعالم من الدول القومية المستقلة، اختفت تقريباً المشاريع السياسية للوحدات الثلاث الإسلامية والأفريقية، والآسيوية؛ ومع ذلك فقد كسبوا العديد من المعارك الفكرية ضد العنصرية، ودحروا الحجج الاستعمارية للهيمنة البيضاء، مما ساعد في إنهاء الحكم الإمبراطوري الأوروبي.

وفي المقابل ساهمت خيبة الأمل بشأن فشل إفريقيا وآسيا والعالم الإسلامي في أن تصبح وحدات ذات حرية ومساواة مقارنة بالغرب في تدهور وضع الوحدة المنشودة.

وبحلول الثمانينات من القرن العشرين، أصبح المفكرون الأفارقة، والأمريكيون الأفارقة؛ أكثر تشاؤماً حيال الحلم الأفريقي البسيط؛ المتمثل في كسب المساواة العرقية بين السود في العالم الحديث، وجعل أفريقيا بأكملها وحدة واحدة مزدهرة وحررة.

لم تتحقق الرؤية الإفريقية لتوحيد الأمم الأفريقية الضعيفة المستقلة حديثاً، وفشلت في خلق التآزر الضروري لقوة عالمية اتحادية تمنحها الحرية والازدهار، على الرغم من وجود منظمة دولية "الاتحاد الأفريقي" إلا أنها غير فعالة، وبعيدة عن تحقيق أهداف الوحدة الأفريقية.

Frantz Fanon, a life By David Macey - Granta BKS-New York 2006

وانظر أهم أفكاره في كتابه معذبو الأرض بتقديم الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ترجمة سامي الدروبي وجمال أناسي الطبعة الثانية 2015م مدارات للأبحاث والنشر-القاهرة.

28 (ولد نهرو 1889م وتوفي عام 1964م كان من عائلة ثرية فقد كان والده محامياً بارزاً أرسله للدراسة في بريطانيا. أصبح أول رئيس للوزراء بعد استقلال الهند، وهو أحد مؤسسي حركة دول عدم الانحياز كما في مؤتمر باندونغ. انظر: قادة دول عدم الانحياز لأحمد أبو الوفا الطبعة الأولى 1969م الكتاب العربي، القاهرة-مصر.

27 (فرانتز فانون عمر ويعرف أيضاً باسم إبراهيم فرانتز فانون؛ طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي، ولد في جزيرة مارتينيك الكاريبية شرق الكاريبي التي كانت مستعمرة فرنسية عام 1925م. حارب إلى جانب فرنسا ضد النازيين، انضم إلى جانب الجزائريين في نضالهم ضد الاستعمار. عين عام 1960 سفيراً في غانا لحكومة الجزائر المؤقتة. ألهمت أفكاره حركات التحرر السوداء مثل حركة الوعي الأسود في جنوب أفريقيا خصوصاً كتابه معذبو الأرض أو اليأساء في الأرض كما في السيرة الموثقة عن مانديلا ص405(مانديلا السيرة الموثقة تأليف أنطوني سامبسون ترجمة هالة النابلسي وغادة الشهابي 2001م العبيكان للنشر-الرياض). توفي عام 1961م عن عمر يناهز 36 بمرض سرطان الدم. كتب قصة حياته الكاتب والمترجم الأمريكي دافيد ماسي:

على العكس من ذلك، كان الجيل الأول من الإسلاميين حدثاً للغاية؛ فقد كانوا في ذلك الوقت من أنصار تحرير المرأة، والمساواة العرقية، والعالمية أو ما يسمى بـ: **"الكوسموبوليتية"**³⁰ (cosmopolitanism).

لقد كان المسلمون الهنود -على سبيل المثال- فخورين جداً بأن الخليفة العثماني كان لديه وزراء وسفراء يونانيون وأرمن، وأرادوا أيضاً رؤية التاج البريطاني يعين وزراء هندوس ومسلمين كمسؤولين رفيعي المستوى في حكوماتهم. لم يكن أحد يرغب أو يتنبأ بفصل الأتراك واليونانيين في الأراضي العثمانية، أو العرب واليهود في فلسطين، أو المسلمين والهندوس في الهند. إن الشكل الظاهري للوحدة الإسلامية في أوائل القرن العشرين؛ هو الذي لا يزال قائماً اليوم، غير أن جوهرها منذ 1980م قد تحول تماماً.

وفي أوائل القرن العشرين، بدأ الإصلاحيون المسلمون في إعداد رواية تاريخية تؤكد على حضارة متصلة بالعصر الذهبي في العلوم والفنون الإسلامية، وتقهرها بعد ذلك. لقد كانت فكرة التاريخ الإسلامي الشامل عبارة عن فكرة إبداعية جديدة، تمت صياغتها للرد على فكرة الحضارة الغربية والحجج الجيوسياسية للوحدة العرقية الغربية والسيادة البيضاء. ومثل الجيل الأول من المفكرين الأفارقة والآسيويين، ردّ المثقفون المسلمون على الشوفينية الأوروبية والاستشراق الغربي بتاريخهم وحضارتهم المجيدة. وطوال القرن العشرين، كان القادة المسلمون العظماء مثل مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، وجمال عبد الناصر في مصر، ومحمد مصدق في إيران، وسوكرانو في إندونيسيا؛ كانوا جميعاً من القوميين العلمانيين، لكنهم اضطروا لاستخدام هذا المفهوم للتاريخ المجيد للحضارة الإسلامية للتحدث مرة أخرى ضد أيديولوجيات السيادة البيضاء. وانتصرت القومية

ويبدو أن الوحدة الأفريقية والوحدة الآسيوية قد اختفت، لكن النزعة الإسلامية والمثل العليا لتضامن العالم الإسلامي لا يزالان على قيد الحياة؛ لماذا؟ تكمن الإجابة في المراحل النهائية من الحرب الباردة؛ ففي ثمانينيات القرن العشرين برزت وحدة إسلامية جديدة، كجزء من إسلام سياسي صاعد، لم يكن صداماً بين التقاليد الحضارية البدائية للإسلام والغرب، أو إعادة تأكيد للقيم الدينية الأصيلة، لم يكن حتى استمراراً للإسلام القومي الذي ظهر أوائل القرن العشرين؛ بل كان شكلاً جديداً للحرب الباردة، حيث بدأ تحالف سعودي أميركي بتشجيع فكرة التضامن الإسلامي في السبعينيات كبديل للعروبة العلمانية للرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي تحالفت بلاده مع الاتحاد السوفييتي. إن أي أفكار من اليوتوبيا²⁹ الإسلامية سوف تتعثر، إن لم يكن بسبب إخفاقات العديد من الدول القومية ما بعد الاستعمارية؛ فبسبب خيبة الأمل العامة اللاحقة لدى العديد من المسلمين.

إن الفكرة القائلة بأن القومية الإسلامية تمثل القيم السياسية الإسلامية الأصيلة والقديمة والمجموعة في الثورة ضد الغربنة والعلمنة العالمية؛ كانت في بادئ الأمر هاجساً بجنون العظمة من قبل المستعمرين الغربيين، ولكنها جاءت في الآونة الأخيرة -بالدرجة الأولى- من قبل الإسلاميين أنفسهم. لقد أخطأ النقاد والصحافيون الغربيون في قبول المزاعم الإسلامية ذات الادعاءات الشكلية بالقيم السياسية الأساسية للإسلام؛ إذ لم يكن نوع الإسلاموية التي تم تحديدها مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر، أو في إيران مع روح الله الخميني موجودة قبل السبعينيات. يدل على ذلك أنه لم يكن أي من المسلمين الهنود الذين التقوا الرئيس الأمريكي الأسبق: ويلسون، ولا الخلفاء الراحلين من العهد العثماني، مهتمين بفرض الشريعة في مجتمعهم. لم يكن أحد منهم يريد حجاب النساء،

30 (مصطلح يشير في أصله اليوناني لكلمتين: كوزموس وتعني عالم، وبولس وتعني مدينة؛ فهو يشير إلى المدينة العالمية، أو المواطنة العالمية وهو مرتبط بأفكار فلسفية قديمة دعت لجعل ولاء الفرد للمجتمع الإنساني بأكمله، والخضوع لقواعد ومبادئ إنسانية واحدة. انظر تطور هذا المصطلح وأبعاده السياسية في العلاقات الدولية كتاب: الحكومة العالمية وتطورات النظام الدولي للدكتورة يسرى كريم. ص96 الطبعة الأولى 2020م دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.

29 (مصطلح من وضع توماس مور Thomas More (1478م- 1535م) ويعني في دلالته اللغوية المباشرة؛ ما لا يوجد في مكان بعينه. أما المعنى الاصطلاحي فيشير إلى مدينة فاضلة ومثالية، لا وجود لها في الواقع؛ لأنها كاملة وعادلة في حين أن الواقع ناقص ومعيّب بالبغي والجور. وهي من وجهة نظر جاكين روس J. Russ؛ تمثل حصة الحلم التي نحملها في ذواتنا، وحصة الحلم اللازمة لكل من يريد بناء الواقع على نحو أصيل. (موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة ص558-559)

في نهاية المطاف. وخلال الخمسينيات والستينيات تلاشت فكرة الإسلام كقوة في الشؤون العالمية من المعارف والصحائف الغربية.

إيديولوجيات إسلامية جديدة

لم تفلح الإيديولوجيات الإسلامية في الظهور مرة أخرى إلا في السبعينيات والثمانينيات، ولكن بطابع ونبرة جديدتين، لقد عادوا كتعبير عن الاستياء من العالم المعاصر بعد أن كانت الأيام الباعثة على التفاؤل في منتصف القرن العشرين حول التحديث قد تلاشت ملامحها؛ فقد فشلت الوحدة الأممية في حل القضايا الوجودية، ولم تجلب الدول القومية ما بعد الاستعمار الحرية والازدهار لمعظم مسلمي العالم. في غضون ذلك، أبدت أوروبا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي القليل من الاهتمام بشأن معاناة الشعوب المسلمة.

وظهرت الأحزاب الإسلامية مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان، مؤكدة أن استعمار فلسطين ومحن الفقر تتطلب شكلاً جديداً من أشكال التضامن.

كما أثبتت الثورة الإيرانية عام 1979م لحظة تاريخية لإدانة الوضع الراهن؛ حيث دعا الخميني لهذا الشكل الجديد من الوحدة الإسلامية. ومع ذلك، فإن إيران ومنافسه الإقليمي المملكة العربية السعودية ساهمتا - على حد سواء - في المصالح الوطنية لدولهما؛ لذلك لم تكن هناك أبداً رؤية اتحادية (فيدرالية) قابلة للتطبيق على هذا التضامن الإسلامي الجديد.

وخلافاً للوحدة الأفريقية التي جعلت من السكان السود -ذوي البشرة السوداء- يعيشون في تضامن داخل أفريقيا بعد الاستعمار؛ فإن الوحدة الإسلامية تركز على الشعور بدور الضحية دون أي مشروع سياسي عملي وأصبح الأمر غير متعلق بخطط حقيقية لتأسيس نظام حكم إسلامي؛ أكثر من تعلقه بكيفية إنهاء القمع والتمييز اللذين يتشارك فيهما مجتمع عالمي متخيل.

لا يمكن أبداً فهم الدعوات إلى التضامن الإسلامي العالمي من خلال النظر في النصوص الدينية أو العقيدة الإسلامية. إن التطورات في التاريخ الفكري والجيوسياسي الحديث؛ هي التي ولدت وشكلت

وجهات النظر العامة للإسلام والتاريخ والعالم، وربما كانت الميزة الأساسية لهذه التطورات؛ هي فكرة أن الغرب كتصنيف له سرده التاريخي الخاص ورؤيته السياسية الدائمة للهيمنة العالمية.

إن الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي -وكل المشاريع الغربية العالمية في القرن العشرين- تتوق إلى التفوق والهيمنة. لقد طور المفكرون الإسلاميون في وقت مبكر سرداً إسلامياً عن نظام عالمي تاريخي كاستراتيجية لمحاربة الخطابات الإمبريالية، التي أغرقت العواصم الاستعمارية والكتابات الاستشراقية والعلوم الاجتماعية الأوروبية حول تخلفهم، ولكن ببساطة لا يمكن أن يكون هناك سرد إسلامي للنظام العالمي دون نظيره، السرد الغربي للعالم.

إن فكرة عالمين غربي وإسلامي تبدو لنا في المرأة مثل الأعداء؛ فيجب ألا نسمح اليوم للمستعمرين في أواخر القرن التاسع عشر بتحديد شروط المناقشة بشأن حقوق الإنسان والحكم الرشيد. وطالما أننا نقبل هذه التضاد المغرض بين "الغرب" و "العالم الإسلامي"؛ فنحن ما زلنا أسرى للاستعمار وفشلنا في إنهاءه من البلاد. وبمجرد تمييز شروط المناقشة هذه ثم رفضها، يمكننا أن نكون أحراراً في الماضي قداماً، والتفكير فيما بيننا وبين العالم بأساليب أكثر واقعية وإنسانية.

إن التحدي الذي نواجهه اليوم؛ هو إيجاد لغة جديدة للحقوق والأعراف، لا تكون أسيرة لمغالطات الحضارة الغربية، أو نظيراتها؛ الأفريقية والآسيوية والإسلامية. إن البشر يشتركون -بغض النظر عن لونهم ودينهم- في كوكب واحد، وتاريخ متصل، دون فواصل حضارية. يجب أن يعتمد أي مسار يسعى للوحدة على التغلب على المظالم والمشاكل الحالية في علاقاتنا وقيمنا المشتركة، عوضاً عن الدعوة إلى حضارة عشائرية.

المبحث الثالث: نقد موقف آيدن في فكرة العالم الإسلامي

بعد أن عرضنا رأي آيدن في فكرة العالم الإسلامي يمكن أن نلاحظ بوضوح أن أهم ما تستند عليه فكرته أمران اثنان؛ أنها فكرة حديثة لم تكن موجودة من قبل،

ربما أراد آيدن بحداثة الفكرة رغم قدم أصولها أنها اليوم أخذت بعداً آخر؛ بعداً جديداً كلياً عن الفكرة الأولى سواء من قبل الإسلاميين أنفسهم، أو من قبل الغربيين الذي قالوا بذلك، وأن الفريقين -على حد سواء- شحنوها بفكرة الصراع والمغالبة وموقف الند من الند؛ فربما كان هذا البعد الجديد هو ما خول آيدن لإلباس فكرة العالم الإسلامي ثوبها الحديث، وإطراح جنورها القديمة.

ولكن لا نجد فيما يقوله آيدن ما يدعم هذه الرؤية التي يمكن قبولها لو أنه أشار إليها تصريحاً أو تلميحاً، مع أن الأصل أن يذكر أصول الفكرة بوضوح، ويذكر ما طرأ عليها من تغيير، وهل ذلك التغيير يعود على الفكرة الأولى بالإبطال أم يوسع مفهومها ويمنحها رؤية شمولية مبتكرة.

وبالرجوع لفكرة العالم الإسلامي قديماً نرى أنها قد ظهرت لدى الفقهاء الأوائل في القرن الثاني الهجري منذ أبي حنيفة النعمان (ت150هـ)³¹ وسائر الأئمة الأربعة؛ مالك بن أنس (ت179هـ)³² ومحمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)³³ وأحمد بن حنبل (ت241هـ)³⁴. وهي مسألة اجتهادية أبدى فيها الفقهاء آراءهم التي توصلوا إليها من خلال النظر في النصوص الشرعية ومقاصدها، وليست مسألة قطعية ورد فيها نص صريح من الكتاب أو السنة؛ ولذلك منذ ظهور هذه المسألة في ذلك الوقت والخلاف فيها قائم حول تحقيق المناط الذي تسمى به الدار دار إسلام أو دار كفر. ورغم وجود هذا الخلاف إلا أن الفقهاء بنوا على هذا التقسيم أحكاماً شرعية وردت في نصوص الكتاب والسنة مثل الهجرة والإقامة في دار الكفر ونحوها.

وأن الواقع اليوم لا يصدقها بل يحمل في طياته الكثير من المظاهر التي تدحضها. وسنناقشها في هذا المبحث، ونرى مدى انسجام الفكرة في ذاتها أو تناقضها، ومدى تصديق الواقع لها في القديم والحديث. **المطلب الأول: نقد رأيه في حداثة فكرة العالم الإسلامي:**

يؤكد آيدن على حداثة فكرة العالم الإسلامي، وأنها لم تكن موجودة من قبل؛ وإنما تولدت بشكل مباشر -كما أسلفنا- من خلال ثلاثة طرق:

- (1) طريق الراديكاليين الإسلاميين.
- (2) طريق المفكرين الغربيين المؤمنين بنظرية صدام الحضارات.
- (3) طريق المفكرين الإسلاميين الذين أسهموا في تشكيل هذه الفكرة.

ولكن في نفس الوقت يشير آيدن إلى أن هؤلاء الإسلاميين المتشددون قد استدعوا فكرة العالم الإسلامي "الحديثة" من التراث الإسلامي "القديم"! وذلك من خلال فكرة الدور؛ دار الكفر ودار الإسلام. ومثلهم المفكرون الغربيون الذين أشاروا لهذا الاستدعاء أيضاً فيما نقله عنهم. والسؤال المشروع هنا: كيف تكون فكرة العالم الإسلامي حديثة، وفي نفس الوقت مستقاة من نصوص تراثية قديمة تعود في أصلها للقرن الثاني من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم؟؟؟

إن القول بحداثة فكرة العالم الإسلامي وقدمها في الوقت نفسه جمع بين النقيضين؛ فهي إما أن تكون فكرة حادثة لا جذور تاريخية لها، أو فكرة قديمة متجذرة في الفكر الإسلامي، وفي التراث القديم الذي خلفه المسلمون الأوائل على اختلاف توجهاتهم الفقهية.

33 (انظر في قول الشافعية: تحفة المحتاج في شرح المنهاج 269/9 لابن حجر الهيتمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان. وتحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروف بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع أو حاشية البيجرمي على شرح الخطيب 220/4 لسليمان الشافعي البيجرمي 1415هـ دار الفكر، بيروت-لبنان.

34 (انظر في قول الحنابلة: مختصر المعتمد في أصول الدين 525 للقاضي أبي يعلى الفراء تحقيق: د. محمد السفياي و د. مشاعل باقاسي الطبعة الأولى 1440هـ دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة. وكشاف القناع عن متن الإقناع 43/3 وما بعدها لمنصور بن يونس البهوتي 1403هـ عالم الكتب، بيروت-لبنان.

31 (انظر في قول الحنفية: المبسوط 110/10 وما بعدها لشمس الدين السرخسي الطبعة الأولى 1409هـ دار المعرفة، بيروت-لبنان. وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 512/9 وما بعدها لأبي بكر الكاساني الحنفي تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود الطبعة الثانية 1442هـ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

32 (انظر في قول المالكية: المدونة الكبرى 18/3 وما بعدها لمالك بن أنس الأصبحي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية. وأيضاً حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 188/2 لمحمد الدسوقي المالكي دار الفكر بيروت-لبنان.

واليوم أصبح حال الدور (الدول) أشد تعقيداً وتشابكاً؛ فهل يصح استدعاء هذه الفكرة القديمة لوصف هذا الحال الحديث المشتبك المعقد؛ أم يجب على العلماء والمفكرين أن يجتهدوا كما اجتهد ابن تيمية في بيان حال هذه الدور وصفاتها وفقاً للمتغيرات التي طرأت على الدول وعلاقاتها ببعضها.³⁶

فكرة العالم الإسلامي أصيلة ومتجذرة في الفكر الإسلامي؛ كما نراها عند فقهاء الإسلام الأوائل، ودعوى حداتها غير صحيحة.

فهي إذن لم تتولد عن طريق المتطرفين الإسلاميين، كما أن تمسكهم بها لا يعني بطلانها في ذاتها؛ فقد تمسك أهل الزيغ والضلال بنصوص من الكتاب والسنة، وضلوا بها عن سواء الصراط. ثم هي مسألة اجتهادية، وللعلماء في كل عصر ومصر أن يجتهدوا فيها، بناء على معطيات العصر ومتغيراته.

المطلب الثاني: نقد تولد فكرة العالم الإسلامي عن طريق المفكرين الغربيين والمفكرين الإسلاميين:

وكذلك لم تتولد عن طريق المفكرين الغربيين أو الأمريكيين المؤمنين بنظرية الصدام بين الحضارات -أمثال برنارد أو هنتنغتون- فإن هذه النظرية نظرية تنبؤية محضة تستشرف المستقبل الأمريكي لا أكثر، ولها ما يعارضها في الفكر الغربي وفي الفكر الأمريكي على وجه الخصوص؛ فمثلاً المفكر الألماني هارالد مولر كتب مشروعاً مضاداً لهنتنغتون بعنوان: "تعايش الثقافات" 2001م³⁷ وكذلك الفرنسي جون ميشيل كونتربولان كتب حول: "صدام الامبراطوريات" 2014م. حيث يرى أن الصراع سيكون بين الامبراطوريات وليس بين الأديان والحضارات.

وفي الفكر الأمريكي كان برنارد لويس نفسه يؤكد على أن هناك مفكرين أمريكيين يرفضون فرض قيم

ولم ينبه أيدي على خطأ الإسلاميين الراديكاليين اليوم في استدعائهم لهذه الفكرة، حيث إنهم أخذوها مجردة عن الواقع، ومبتورة عن سياقها الذي ولدت فيه. إن الواقع اليوم يختلف عن واقع الفقهاء الذين بحثوا هذه الفكرة وأبعادها في الزمن الماضي.

لقد كانت البلاد الإسلامية وبلاد الكفار في زمن الفقهاء الأوائل متميزة؛ بمعنى أن المسلمين كلهم في بلد والكفار في بلد آخر، وعليه فإن لهذه البلاد أحكاماً وتلك البلاد أحكاماً أخرى. كما تفرع عنها هذه المسألة مسألة أخرى متغيرة بتغير العلاقة بين الدور من سلم وحرب؛ فظهر مسمى دار الحرب ودار السلم، فإذا كان هناك عهد أو ميثاق بين دار الإسلام ودار الكفر؛ أصبحت دار الكفر دار سلم، وإن لم يكن بينهم عهد ولا ميثاق فدارهم دار حرب.

كما أن وصف الإسلام والكفر للدور قد يتغير بتغير حالها ومآلها، فقد تخضع بعض بلدان المسلمين لحكم غير المسلمين بسبب الغزو والاعتداء عليها، وقد تدخل بعض بلدان غير المسلمين تحت حكم المسلمين، وكما هو مقرر في علم أصول الفقه أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وهذا ما فهمه المفكرون المسلمون في عصور متأخرة، عندما تداخلت الدول والممالك، أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في فتواه الشهيرة في ماردين وهي دار الإسلام التي كان يسكنها المسلمون ويحكمونها، ثم سيطر عليها الكفار وحكموها بالقوة فصارت الغلبة للكفار على الرعايا المسلمين فيها، فلما سئل عن حال هذه الدار قال بأنها ليست دار حرب وكذلك ليست دار سلم، ومنحها وصفاً جديداً مبتكراً بأنها دار مركبة من المعنيين: "... أما كونها دار حرب أو سلم؛ فهي مركبة، فيها المعنيان؛ ليست بمنزلة دار السلم التي يجري عليها أحكام الإسلام؛ لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار"³⁵

35 (الفتاوى الكبرى لابن تيمية 553/3 الطبعة الأولى 1408 هـ دار الكتب العلمية؛ بيروت-لبنان.

36 (لبعض المعاصرين آراء واجتهادات في هذا السياق منهم د. هبة الزحيلي كما في كتابه آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة ص 167 الطبعة الثالثة 1419 هـ دار الفكر دمشق. وكذلك الشيخ عبد الله بن بية الشنقيطي؛ انظر عدد من المقالات والفتاوى في موقعه على الانترنت مثل: الكلمة التأطيرية للملتقى الثالث لمنتدى تعزيز السلم تحت عنوان: "الدولة الوطنية في المجتمعات المسلمة". وغيرهما. كما عُقد عدد من المؤتمرات حول هذا المفهوم وحول مفهوم المواطنة في البلاد الإسلامية

وغير الإسلامية مثل: مؤتمر ماردين المنعقد في تركيا حول فتوى ابن تيمية المشار إليها وقد كان في 11-12 ربيع الثاني 1431 هـ/27-28 مارس 2010م وكذلك مؤتمر "حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية: الإطار الشرعي والدعوة إلى المبادرة" في مدينة مراكش ما بين 25 و27 يناير عام 2016م.

37 (تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون لهارالد مولر طبع لأول مرة بالألمانية عام 2001م وترجمه للعربية د. إبراهيم أبو هشيش عام 2005م الطبعة الأولى دار الكتاب الجديد المتحدة - فرانكفورت - ألمانيا.

للإسلام وردوا عليهم هم من ألهم هذه الفكرة وأبعادها؟ حيث خلقت هذه المواجهة وهذا الدفاع انحيازاً فكرياً لدى المسلمين على اختلاف طبقاتهم؛ فأصبحوا بمجموعهم عالماً إسلامياً في مقابل العالم الغربي المسيحي ومفكره؟؟

أجل لقد هب مفكرون كثيرون للدفاع عن الإسلام وما أثير حوله من شبهات، أو ما وصم به من نقائص؛ مثال ذلك عند آيدن طرح ويلفريد سكوين بلنت Wilfrid Scawen Blunt في كتابه مستقبل الإسلام. ولكن من وجهة نظري أن بلنت نفسه وطرحه كذلك كانا مشكلين لعدة أمور؛ فهناك من رأى أن طرحه في الكتاب يعبر عن إعجاب بالإسلام، وأن حضارته في الحكم -خصوصاً في نجد التي زارها- ليست حضارة بدوية قائمة على السلب والنهب كما يصورها بعض المستشرقين؛ بل هي قائمة -على حد وصفه- على النعم الثلاثة التي نفاخر بها في أوروبا: العدل والمساواة والحرية. كم أنها تخلو تماماً من حياة القهر وجشع الضرائب والتجديد القسري. كما يشير إلى أنه يجب على أوروبا أن تتعامل مع الإسلام ليس بصفته واقعاً فحسب؛ بل لأن فيه إمكانات خيرة لا تستطيع انجلترا على وجه الخصوص أن تستبدلها بأي نحلة أخرى.⁴¹ فنظر أمثال هؤلاء إلى بلنت على أنه داعم للإسلام وقضاياه؛ باعتباره عالماً به ومتأثراً به حيث رحل وأقام في بلاد المسلمين لعدة أعوام.

وهناك من يرى أنه كان يسعى لتقويض الهيمنة العثمانية على بلاد المسلمين؛ لينفرد عقد الإسلام وتضيع هويته، ثم ينقل السلطنة والهيمنة إلى العرب فهم أحق بها ففي بلادهم مكة التي يجب أن تكون مركزاً للخلافة باعتبارها رمزاً دينياً، وعلى العرب أن لا يقلقوا من انفلات الأمر فبعده تصلح الأمور وتسير على خير ما يرام؛ وأنشد بيتاً من الشعر في فاتحة كتابه:

الحضارة الغربية على الآخرين، بل ويتكلمون أحياناً نيابة عن العالم الثالث؛ فيقدمون المبررات والمسوغات الرافضة لقيم الحضارة الغربية في المجتمعات المسلمة. ويقصد هؤلاء "اليساريون" في أمريكا،³⁸ الذين يمثلهم غالباً "الديمقراطيون".

وحتى دراسة هنتنغتون "صدام الحضارات" فإنها بدأت بمقال كتبه في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية متأثراً ببرنارد لويس، وكان المقال في صيغة سؤال ثم لما وسّع دراسته في كتاب ضخم؛ وحذف علامة الاستفهام من العنوان في إشارة سيميولوجية³⁹ تؤكد على انتقال دراسته من مستوى الفرضية القابلة للأخذ والرد إلى مستوى النظرية الراسخة التي تقوم على كثير من المسلمات والبدهييات المسلم بها.⁴⁰

إذاً لا الجانب الفكري في أمريكا، ولا الجانب السياسي؛ يجمعان على فكرة الصدام بين عالم إسلامي وعالم غربي مسيحي، فضلاً عن أن يتولد عن هذه الاعتقاد فكرة العالم الإسلامي كما يتصور آيدن، رغم أنه أشار إلى أن فكرة الصدام كانت حاضرة في الفكر الغربي والأمريكي لدى اليمين المتطرف ولدى الفاشيين الجدد -كما أسلفنا- قبل لويس وهنتنغتون، وإنما كان عمل لويس وهنتنغتون هو إبراز هذا الصدام على المستوى الفكري، وهذه الإشارة من آيدن تكفي في نفي فكرة حدائنة العالم الإسلامي؛ مادام أن هذا التصور كان قائماً منذ التوجس من التوسع الإمبراطوري الإسلامي في أوروبا الشرقية أواخر القرن السابع عشر، وتحديد عند حصار فيينا عام 1683م كما يذكر آيدن نفسه.

ولكن إذا لم يكن الراديكاليون الإسلاميون هم من خلق فكرة العالم الإسلامي، ولا المفكرون الغربيون هم من أنشأها، أو حتى أعطائها بعداً مغايراً يقضي بتبلور هذه الفكرة من جديد؛ فهل يمكن أن يكون المفكرون المسلمون الذين واجهوا اتهامات المفكرين الغربيين

38) انظر: نظرية الصراع الحضاري في الفكر الاستراتيجي الأمريكي: تحليل ونقد لدراسة برنارد لويس. سبقت الإشارة إليه.

39) السيميولوجيا semiotics أو علم العلامة هي من العلوم التي تطورت بوتيرة سريعة خلال القرن العشرين منذ ظهور كتاب اللغوي السويسري فرديناند دو سوسور F De Saussure محاضرات في علم اللغة إلى آخر أبحاث رولان بارث R Barthes وميتز K Metz وهو العلم الذي عرفه سوسور بـ "دراسة حياة العلامة في كنف المجتمع" وتنقسم إلى قسمين رئيسيين العلامات اللسانية "اللسانيات" والعلامات غير اللسانية.

انظر: ماهي السيميولوجيا لبرنار توسان ترجمة محمد نظيف ص9،5 ومابعداها. الطبعة الثانية أفريقيا الشرق الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان.

40) انظر مقدمة المترجم د. إبراهيم أبو هشيش لكتاب: تعايش الثقافات ص14-15.

41) انظر المقدمة المطولة لكتاب بلنت مستقبل الإسلام للمترجم

الدكتور صبري محمد حسن. دار الجمهورية 2010م القاهرة-مصر.

لا تقنطوا الدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجملاً

ولكن مالم يقله بلنت أن قومه يريدون هذا العقد العربي في جيد قومه البريطانيين لا في جيد الإسلام! وهو في نهاية الأمر ما هو إلا مترجم عن آمال بني جنسه في أن الأليق بالإسلام أن انجلترا دولة له، ولم يبق إلا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون انجليزياً.⁴²

الأمر الثالث والأهم أن المفكرين الإسلاميين الذين يرى آيدن أنهم واجهوا الفكر الغربي أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده؛ كانا صديقين شخصيين لبلنت! على ما ذكره آيدن نفسه وذكرته كتب التاريخ عنهما! وهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن هذان المفكران لم يكونا على علم بما يقوم به بلنت وهم المعاصرون له والقريبون منه، وإما أن يكونا عالمين بما يجري ويسعيان معه لتحقيق الأطماع الإنجليزية التي يسعى إليها بلنت نفسه! ربما من أجل أطماع لهما في الحكم والسلطة⁴³ أو لغيرها من الاعتبارات.

وهناك احتمال ثالث ضعيف؛ وهو أنهما أظهرتا لبلنت الصداقة والود حتى يستبينا سبيله ويكشفنا خططه وألأعييه؛ وكان هذا الاحتمال سيقوى لو أنهما فعلاً حذرا منه وبيننا منهجه بعد ذلك. ولكن لم أقف على شيء يشبه النقد لموقف بلنت، وهو ما يجعلني أحكم بضعف هذا الاحتمال واستبعاده.

ولكن أي الاحتمالين أرجح؟ هل كان هذان المفكران في غفلة من أمر بلنت؟ أم أنهما كانا فعلاً متعاونين مع الاستعمار؟ إن كلا الاتهامين خطيرين لشخصيتين بحجم الأفغاني وعبده. وللإجابة على هذا السؤال

ينبغي أن نعرف من هما هذان المفكران وما طبيعة فكرهما ودعوتهما الإصلاحية.

فأما جمال الدين الأفغاني -المولود في أفغانستان وقيل في إيران عام 1838م والمتوفى عام 1897م- فقد انقسم الناس فيه إلى فريقين -وكذلك محمد عبده ولكن بدرجة أقل- فريق أشاد به كل الإشادة، وبأبلغ غاية المبالغة في وصفه بالمصلح والقائد الأممي والمفكر العظيم،⁴⁴ وقسم خسف به وبفكره الأرض؛ بل اتهموا اتهاماً صريحاً بالعمالة، والسعي لنقض عروة الإسلام الوثقى من خلال "العروة الوثقى"⁴⁵!

لسنا بصدد التحقيق في هذا الأمر؛ لأنه يبعد البحث عن مقصوده، ولن نصل فيه إلى نتيجة تحسم الجدل بين الفريقين، ولكن سنتعرف على الأفغاني من خلال تفكيك رسالته الشهيرة لرينان الفرنسي، التي أشار إليها آيدن، ونجعلها هي النموذج التفسيري لفكر الأفغاني. ولعل هذا المنهج هو الأولى بالاتباع في معرفة فكر أي إنسان؛ لأنه يخرج الباحث من دائرة الحكم المسبق والجدل العقيم إلى فكر الشخص من خلال فكره، لا من خلال فكر من كتب عنه. ولو درس تراث الأفغاني كله بهذه الطريقة فيمكن الوصول إلى حكم دقيق على توجهه الفكري ودعوته الإصلاحية.

والسبب في تفكيك هذه الرسالة بالذات عدة أمور؛ أولاً: أن آيدن أوردتها هنا باعتبارها رداً من المفكرين الإسلاميين على مفكري الغرب الذين اتهموا الإسلام بالتخلف والرجعية، فكان الأفغاني أحد الذي أسهموا بردهم هذا في تكوين فكرة العالم الإسلامي. وثانياً: لشهرة هذه الرسالة رغم وجود غيرها بل وجود من سبق الأفغاني في الرد،⁴⁶ ولكنها لم تشتهر شهرة رد

والمفكرين ثناءهم عليه على اختلاف توجهاتهم. الطبعة الأولى 1404هـ دار الشروق. القاهرة-مصر. وجمع من الباحثين في كتاب جمال الدين الأفغاني عطائه الفكري ومنهجه الإصلاحية؛ وهو وقائع حلقة دراسية عقدت في عمان-الأردن عام 1419هـ-1998م الطبعة الأولى عام 1420هـ-1999م المعهد العالمي للفكر الإسلامي. عمان-الأردن

45) منهم السلطان عبد الحميد في مذكراته ترجمة د. محمد حرب الطبعة الثالثة 1412هـ دار القلم، دمشق-سوريا. وكذلك ابن أخت جمال الدين في كتابه حقيقة جمال الدين الأفغاني ترجمة عبد النعيم حسنين الطبعة الأولى 1408هـ دار الوفاء، القاهرة-مصر.

46) مثل رد مسيو تشارلز ميسمر Charles Mismer على إرنست رينان وهو مفكر فرنسي عاش في الجزائر كان رئيساً للبعثة المصرية بفرنسا إبان إلقاء رينان لمحاضراته. انظر: سلسلة الأعمال المجهولة لجمال

42) انظر: المسألة الشرقية لمصطفى كامل 20-21 الطبعة الأولى 1898م مطبعة الآداب القاهرة-مصر.

43) قد يقوى هذا الاحتمال أن محمد عبده في مصر في عهد الاحتلال الإنجليزي كان مفتياً للديار المصرية؛ بل كانت بينه وبين بلنت رسائل عدة يسأله فيها بلنت عن الوضع السياسي بعد الاتفاق الإنجليزي الفرنسي في مصر، وعما يراه في وضع دستور للحكم في البلاد وغيرها من الأمور. انظر في ذلك تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده لرشيد رضا الجزء الأول الطبعة الأولى 1324هـ دار المنار، القاهرة-مصر.

44) منهم الدكتور محمد البهي في كتابه: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص 61 وما بعدها الطبعة الرابعة عشر 1426هـ، مكتبة وهبة. القاهرة-مصر. ومصطفى عبد الرازق في مقدمة العروة الوثقى، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر. ومحمد عمارة في كتابه جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ص 41 حيث نقل عن عدد من الكتاب

أما الركيزة الثانية فقال عنها الأفغاني: "إن السيد رينان يقر لهم (للعرب) بذلك على كل حال، ويعترف أنهم حفظوا تراث الإنسانية العلمي وطوروه وهل من رسالة أكثر نبلاً من هذه يمكن أن تضطلع بها الأمة..." ولا يأخذ الأفغاني على رينان هنا سوى أنه نسب هذا الفضل لنصارى الشام الذين إنما أبدعوا لكونهم نصارى لا عرباً! أو لكون بعضهم من غير أصول عربية؛ فضرب له الأفغاني مثلاً بغيرهم؛ أمثال علماء الأندلس كابن باجة وابن رشد.. ولكن في نفس الوقت يرسل إشارة خفية في نقد المسلمين فيقول "... من المسلم به أن الإسلام قد دخل البلدان المفتوحة بالعنف الذي نعلم؛ ففرض لغته وتقاليده وعقائده، ولم تقدر البلدان على التخلص من نفوذه، ونمثل ببلاد فارس مثلاً على ما نقول..." ويقول إنه برغم معرفة علماء فارس باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي؛ إلا أنهم كانوا يفخرون بعد ذلك بالتأليف بلغة القرآن، وهو مجد لا يحق للعرب أن ينسبوه إلى أنفسهم! ورغم أن العرب حملوا مشاعل الحضارة؛ فإن جذوتها قد انطفأت في أيديهم بسبب الديانة الإسلامية "فمن الواضح أنها حيثما حلت فقد خنقت العلم، وأعانها الاستبداد إعانة كبرى على تحقيق مقاصدها"⁴⁷

نستطيع أن نلاحظ هنا ما يلي:

- (1) يوافق الأفغاني رينان في جعل الدين الإسلامي مناقضاً لحركة الفكر ومعطلاً للعقل عن البحث في الحقائق العلمية.
 - (2) يأمل الأفغاني أن يتحرر المسلمون كما تحرر المسيحيون من سطوة الدين الذي يكبل الفكر والعقل.
 - (3) يرى الأفغاني أن انتشار الإسلام كان بقوة السيف، وتحت وطأته انتشرت اللغة العربية قهراً، ويمثل على ذلك ببلاد فارس.
 - (4) يرى أن الدين الإسلامي هو المسؤول عن انطفاء جذوة الحضارة العربية؛ فإنه حيثما حل خنق العلم والمعرفة.
- ولنا أن نتساءل بعد كل هذا: ما نسبة الرد على رينان من قبل الأفغاني مقارنة بنسبة الموافقة له؟ إننا نلاحظ بجلاء موقفه له في أبرز ما ارتكزت عليه رسالته؛

الأفغاني. وثالثاً: وهو الأهم في نظري أن هذا الرد من أواخر ما كتب الأفغاني حيث كتبها في العقد الأخير من حياته، مما يعني تبلور فكره في تلك المرحلة واستقراره، فهي تعكس بامتياز فكر الرجل وتوجهه. إن المتأمل في كلام رينان الفرنسي عن العرب والمسلمين يجده قائماً على ركيزتين كبيرتين: الأولى أن الدين الإسلامي يتناقض في جوهره مع تقدم العلوم. والركيزة الثانية: أن العرب رغم جلافتهم وجهلهم وتعصبهم حين ورثوا عن الحضارات المتقدمة ما تخلت عنه؛ أحيوا العلوم المندثرة وطوروها وأعادوها إلى الحياة!

فأما الركيزة الأولى فأجاب عنها الأفغاني بأن كل الأديان السماوية تناقض تقدم العلوم، وليس الإسلام وحده مختصاً بهذه المناقضة، فحتى دينك النصراني يا سيد رينان يناقض العلوم والمعارف -كما تعلم- ولكنكم انتصرتكم على دينكم وانفتحتكم على العلوم والحضارة، وهذا يعطينا الأمل في انتصارنا على هذه العقيدة الإسلامية التي تقمع العلوم والحقائق، وتجعل معتنقها كالثور المقرون إلى العربة يسير وفق ما يرسم له!

يقول الأفغاني نصاً: "... وكلما تذكرت أن الديانة المسيحية سبقت الإسلام بقرون؛ إلا واعتراني الأمل في أن تحطم الأمة الإسلامية يوماً أغلالها، وتتقدم شامخة في طريق المدنية على شاكلة الغرب الذي لم تنته عن ذلك العقيدة المسيحية رغم صرامتها وتعصبها... أقرُّ بأن الإسلام حاول خنق العلم وعرقل تطوره؛ فنجح في تعطيل حركة الفكر والفلسفة، وثنى العقول عن البحث عن الحقائق العلمية. لكن الديانة المسيحية لم تكن على علمي براء مما يشبه هذا...إني أدرك أن المسلمين سيواجهون مصاعب جمة في سبيل بلوغ المدنية؛ لأنهم ممنوعون من اقتحام الطرق الفلسفية والعلمية، والمؤمن عندهم مدعو إلى الابتعاد عن طلب الحقيقة العلمية التي هي حقيقة الحقائق -كما يشهد ذلك الأوروبيون- فهو كالثور المقرون إلى العربة، إنه مقرون إلى العقيدة مستعبد لها مدفوع أبداً إلى السير في المنهاج الذي خطه له الفقهاء..."

(47) انظر رد الأفغاني على رسالة رينان في رواد التجديد في الإسلام (222-228)

الدين الأفغاني، لعل شلش، ص 119-120 الطبعة الأولى 1978م رياض الريس للكتب والنشر، لندن.

للإسلام يحث فيه الناس على الانعتاق من ربقة الإسلام وعبوديته في الفهم والإدراك إلى حرية العلم والفكر؛ ظناً منه أنهما يتعارضان تعارضهما مع الديانة النصرانية!

إن مفكراً لم يستطع أن يفرق بين موقف دين سماوي محرف من العلم والمعرفة، وبين موقف الدين الإسلامي الخاتم المحفوظ بحفظ الله منها؛ ليس جديراً أن يعد مفكراً إسلامياً، وبالتالي لا يمكن أن تكون أفكاره مسهمة في تشكيل فكرة العالم الإسلامي.

وأما محمد عبده -المولود سنة 1849م والمتوفى سنة 1905م- فكان أعلم بالإسلام من أستاذه الأفغاني، وإن اشتركا في بعض الأفكار الإصلاحية، وبعض الصلات المشبوهة؛ خصوصاً في صلتها مع الانجليز التي أشرنا إليها سابقاً. ولا أصرح مما ورد على لسان اللورد كرومر الذي كان منتدب بريطانيا على مصر حين قال للخديوي: "إن كان تحريك بعض المشايخ ضد المفتي لأجل فصله من الإفتاء فاسمح لي بأن أقول إنه ما دام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت"⁴⁹ ويقول عنه بلنت: "رجل من أحسن وأحكم الرجال العظام، ويجب ألا يتوهم أحد أنني إذ أستخدم هذه الألفاظ ألقى القول على عواهنه أو أبالغ مثقال ذرة، ولكني أقولها معتمداً على معرفتي بأخلاقه في ظروف مختلفة وأحوال صعبة؛ فقد عرفته في أول الأمر معلماً دينياً ثم قائداً لحركة الإصلاح الاجتماعي... وأخيراً حين سودته مواهبه العقلية ونصرته من جديد"⁵⁰

ولكن هل يمكن أن نقول إن لهذا الاتصال مع الانجليز ما يبرره؟ وأن محمد عبده إنما أراد التعامل مع الواقع بحسب الإمكان، فاتهم بسبب ذلك، حتى أنه كان يبيت شجاء لأمير البيان شكيب أرسلان عما لحقه من اتهامات بممالة المحتلين ومهادنة المستعمرين.⁵¹ إن هذا الرأي يميل إليه كل الذين أيدوا الاتجاه الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني -الذين أشرنا لهم

وهي أن الإسلام مضاد للعلم والمعرفة. كما نلاحظ أن الأفغاني وقع في نفس التناقضات التي وقع فيها رينان حيث ينتقد العرب من جهة، ومن جهة أخرى يزعم أنه كان لهم أثر في تطور العلوم والحضارة في العصر الوسيط، ولم يزد الأفغاني هنا أن برر سقوط مشعل الحضارة من أيدي العرب باعتناقهم للدين الإسلامي الذي يخنق العلم والمعرفة! وفي ذات الوقت يضرب أمثلة بمفكرين مسلمين!

لقد أدرك تناقض رينان الصارخ مفكرون فرنسيون معاصرون له؛ أمثال غوستاف لبيون في كتابه الذي يمكن أن يعتبر رداً على رينان: "حضارة العرب" حيث يقول في حاشية الباب الخامس الذي يحمل نفس عنوان الكتاب إن "...الخطبة التي ألقاها الكاتب والعالم الفاضل المسيو رينان في السوربون عن الإسلام، والتي أراد مسيو رينان أن يثبت فيها عجز العرب، ولكن ترهاته كانت تُنقض بما كان يجيء في الصفحة التي تليها؛ فبعد أن قال مسيو رينان مثلاً: إن تقدم العلوم مدين للعرب وحدهم مدة ستمائة عام، وذكر أن عدم التسامح مما لم يعرفه الإسلام إلا بعد أن حلت محل العرب شعوب متأخرة كالبربر والترك. وعاد فادعي أن الإسلام اضطهد العلم والفلسفة وقضى على العقل في البلاد التي دانت له.

بيد أن ناقداً بصيراً كمسيو رينان لا يستطيع أن ينأى مدة طويلة على مثل ذلك الزعم المناقض لأوضح ما رواه التاريخ، فذهبت عنه أو هامه ومبتسراته الموروثة ثانية، ورجع يعترف بتأثير العرب في القرون الوسطى، ويشهد بتقدم العلوم في بلاد الاندلس أيام سلطانهم".⁴⁸

فهل يقال بعد ذلك أن جمال الدين الأفغاني رد على رينان الفرنسي؟ أو أنه كان مفكراً مصلحاً مدافعاً عن الإسلام بعد كل اتهاماته للإسلام في هذه الرسالة؟ إن ما يبدو واضحاً جلياً في رد الأفغاني هذا أنه يريد تجديد الإسلام على الطريقة اللوثرية ويقدم فهماً جديداً

48 (حضارة العرب لغوستاف لبيون ترجمة عادل زعيتر الطبعة 2018 وكالة الصحافة العربية. القاهرة-مصر

49 (تاريخ الأستاذ الإمام لرشد رضا (1/564)

50 (التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر لإلفريد سكلون بلنت ص 80 راجعه ووافقه على ما فيه محمد عبده، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر.

51 (انظر: تعليقات أرسلان (283/1) ضمن كتاب حاضر العالم الإسلامي للأمريكي لوثر روب ستودارد ترجمة عجاج نويهض الطبعة الثالثة 1391هـ دار الفكر، بيروت-لبنان.

أما مصلحو جنوب آسيا الذين مثل لهم آيدن بأحمد خان وأمير علي؛ فإن دعوتهم من وجهة نظري كانت كذلك في المجال التعليمي والديني، وأن دعوتها الإصلاحية إن امتدت إلى الجانب السياسي؛ فإنها إنما كانت بين مسلمي الهند والبنغال، ولم يمتد أثر هذه الدعوة الإصلاحية للعالم العربي الذي يعتبر أساس العالم الإسلامي باعتبار النبوة المحمدية والمقدسات الإسلامية الموجودة فيها. لذلك لم تكن ذات أثر كبير في تشكيل فكرة العالم الإسلامي؛ فضلاً عن توجدها من عدم!

لكن كان هناك أيضاً مصلحون سياسيون من العرب مثل أمير البيان شكيب أرسلان؛ فكيف لا نعد دعوتهم مكوناً رئيساً من مكونات فكرة العالم الإسلامي؟ لقد كان حراك أرسلان السياسي في بداية الأمر متجهاً لفكرة الجامعة الإسلامية وتأييد الخلافة في إسطنبول، ولكنه حين رأى تنكر الأتراك للخلافة، وظلمهم واستبدادهم خصوصاً جمال باشا في سوريا؛ أصبح جلّ اهتمامه منصباً على أهمية اجتماع العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وقد كان من أوائل من ألهم فكرة إنشاء جامعة عربية إن لم يكن أولهم على الإطلاق.

لذلك قد لا يعد إصلاحه السياسي ملهماً لفكرة العالم الإسلامي أكثر من إلهامه لفكرة العالم العربي الموحد، وهو ما يناقض في أيديولوجيته فكرة العالم الإسلامي. وهكذا نرى أن فكرة العالم الإسلامي أصيلة في التراث الإسلامي، وليست حادثة كما يرى آيدن، وأن فكر المصلحين والمفكرين الإسلاميين لم يوجدها من العدم؛ بل غايته أن يكون مؤثراً في تشكيل بعض المفاهيم المعاصرة والرؤى المستجدة للأحداث.

المبحث الرابع: حاضر العالم الإسلامي

في هذا المبحث سنرى كيف أن فكرة العالم الإسلامي موجودة في الواقع سواء على المستوى الفكري لدى العلماء والمفكرين، أو على المستوى العملي لدى القادة والسياسيين، وقد تم اختيار عنوان هذا المبحث قصداً؛ لأنه عنوان للعديد من الكتب التي كتبت عن العالم

سابقاً. والذي سار عليه تلميذه من بعده؛ حتى ذهب بعضهم إلى أن دخولهما للماسونية إنما كان من أجل معرفة ما تتطوي عليه ثم كشف زيفها وبيان خطرهما،⁵² أو ربما انخدعوا بشعاراتها البراقة كغيرهم في ذلك الوقت، ولم يعلموا خطرهما على الإسلام؛ فلما تبينوا ذلك خرجوا منها.

وأياً كان الصواب مع أي الفريقين فالمراد هنا: أن **فكرهما لم يكن ملهماً لتكوين فكرة العالم الإسلامي** التي يشير إليها آيدن؛ كيف ذاك والرجلان منذ بداية دعوتهما ومفكرو العالم الإسلامي وعلمائهم منقسمون تجاههما بين مؤيد معارض حتى يومنا هذا؟! وحتى سائر المفكرين الذين ألفوا كتباً في الفكر الإسلامي وقضاياه، فكتبوا عن روح الإسلام، وعن المسائل الحقوقية للمرأة ونحوها؛ كانت كتبهم تتوافق وتتعارض، وكان العراك الفكري بينهم على أشده، ولم يكونوا يجتمعون على فكر واحد، شأن أي خلاف بين العلماء والمفكرين في كل أمة وفي كل عصر.

صحيح أن هذا الحراك الفكري يسهم في وعي المجتمع وفي تماسك أفرادها؛ ولكن هل يوجد هذا الحراك مجتمعاً لم يكن موجوداً من قبل؟ أو هل يخلق فكرة كبرى كفكرة العالم الإسلامي بعد أن لم تكن؟ لعل هذا بعيد عن الحقيقة والواقع اللذين ينبأن بخلاف ذلك. لكن أيضاً كان هناك مصلحون تجاوزوا مرحلة الإصلاح الفكري وكان لهم جداول أعمال سياسية أثرت بشكل مباشر في إيجاد فكرة العالم الإسلامي؛ كما يقول آيدن ومثل لهؤلاء بمحمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا، وقد سبق الكلام عن محمد عبده وهو امتداد لإصلاح فكري قاده أستاذه الأفغاني. صحيح أنه شارك في الثورة العرابية في بادئ الأمر، لكنه وبعد عودته من منفاه مال إلى الجانب التعليمي والديني، وانعزل تماماً عن السياسة خصوصاً في الفترة التي تزعم فيها مصطفى كامل الحركة الوطنية في مصر⁵³ وتلميذه محمد رشيد رضا كان كذلك منحازاً إلى الجانب العلمي والفكري، وقد تأثر كثيراً بمدرسة أهل الحديث بعد وفاة أستاذه.

(52) هناك رواية لكاتب سعودي تؤيد هذا الاتجاه وهي: حكومة الظل؛ لمنذر قباني. الطبعة الثانية 1428هـ، دار العربية للعلوم، بيروت-لبنان.

(53) انظر: الفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي ص98-100

وأشرف عليهم فيها كبار الأساتذة والمفكرين في شتى بقاع العالم.

إن وجود علماء ومفكرين وحتى كُتّاباً مختلفي التوجهات والأفكار بل حتى العقائد يكتبون جميعهم عن واقع العالم الإسلامي وحاضره؛ يجعلنا لا نستطيع الحكم بأن كتاباتهم إنما كانت عن شيء متوهم، أو عن حقيقة غائبة عن أذهانهم؛ بل إن اجماعهم هذا على تباين خلفياتهم الفكرية لهو أكبر دليل على وجود عالم إسلامي واقعي أخذ مكانه على رقعة هذا العالم بأسره. هذا على الجانب العلمي والفكري؛ أما على الجانب العملي السياسي فقد أشار آيدن إلى أن هناك دعوة نشأت حديثاً نتيجة تحالف سعودي أميركي لدعم فكرة التضامن الإسلامي في السبعينيات، حتى يكون بديلاً للعروبة العلمانية التي دعا إليها الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي تحالفت بلاده مع الاتحاد السوفييتي!

والحقيقة أن في هذا اختزالاً لفكرة العالم الإسلامي التي يؤكد آيدن -دائماً- على حداثتها بمثل هذا الطرح؛ كما أن فيها اختزالاً لفكرة التضامن الإسلامي التي كانت المملكة العربية السعودية من أوائل من دعا إليها منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل يرحمه الله، وليس فقط منذ عهد الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي وصفه آيدن بخليفة الحرب الباردة للمسلمين؛ وقال بأنه استخدم لتسليم هذه المكانة مزيج الفريد من الهيبة الإسلامية والعلاقة الجيدة مع أمريكا!⁵⁴

صحيح أن الملك فيصل يعود له الفضل -بعد الله- في قيادة تضامن إسلامي عالمي؛ ولكن التضامن باعتباره فكرة كان الملك عبد العزيز هو أول من دعا إليه في العصر الحديث؛ حيث يعود تاريخ تأسيس مؤتمر العالم الإسلامي إلى عام 4134هـ - 1926م، عندما دعا الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية -رحمه الله- إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي طارئ في مكة المكرمة لبحث أوضاع العالم الإسلامي، ورغم أن موضوع الخلافة لم يكن مدرجاً على جدول أعماله، إلا أن المؤتمر عقد إثر

الإسلامي المعاصر، مما يؤيد وجوده وقيامه في العالم اليوم؛ ومن ذلك:

- (1) حاضر العالم الإسلامي للكاتب الأمريكي لوثر روب ستودارد -وقد سبقت الإشارة إليه- وفيه تعليقات هامة لشكيب أرسلان حول العالم الإسلامي، حتى ظن بعضهم أن الكتاب لأرسلان؛ لأنه جعل تعليقاته في تضاعيف الكتاب ولم يفصلها عنه، وأيضاً لطول تعليقاته التي قاربت الكتاب الأصل إن لم تفقه.
- (2) حاضر العالم الإسلامي لعللي جريشة الطبعة الرابعة 1410هـ-1998م
- (3) حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة لجميل عبد الله المصري 1986م
- (4) حاضر العالم الإسلامي لتاج السر أحمد حران الطبعة الأولى 1422هـ-2001م
- (5) حاضر العالم الإسلامي للدكتور فرغلي الهويدي الطبعة الأولى 2010م

كما أن هناك كتباً أخرى بحثت العالم الإسلامي تاريخياً وجغرافياً، وهي كثيرة جداً؛ مثل كتاب محمود شاكر التاريخ الإسلامي الذي يعد موسوعة عن العالم الإسلامي، وكذلك بعض الدراسات المعاصرة التي تناولت جغرافية العالم الإسلامي؛ مثل كتاب الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، لجمع من الباحثين، وإشراف من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، تم طبعه عام 1419هـ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. وكذلك جل الرسائل العلمية في أقسام العلوم الإنسانية والتاريخ والجغرافيا في كبرى الجامعات في داخل العالم الإسلامي وفي خارجه؛ بحثت ولا زالت تبحث العالم الإسلامي باعتباره مفهوماً قائماً وموجوداً؛ وليس مفهوماً متوهماً فرضته الأوهام الجيوسياسية في العالم.

إنه من الصعب جداً القول بأن العلماء والمفكرين وقعوا فريسة لهذا الوهم، وأن الدراسات والأبحاث التي قاموا كانت على فكرة مجردة في الأذهان، ليس لها واقع في العيان، إن في هذا اتهاماً لعقولهم وازدراء لأبحاثهم ودراساتهم التي أفنوا فيها جهداً ووقتاً،

فيصل بن عبد العزيز بعنوان: "خليفة الحرب الباردة لكافة المسلمين" ص 211-199.

(54) كتب آيدن في آخر كتابه هذا: "فكرة العالم الإسلامي" فصلاً تحت عنوان "إحياء الأممية الإسلامية" وتحدث في جزء مطول منه عن الملك

جاء في موقع منظمة التعاون الإسلامي على الشبكة العنكبوتية التعريف بها وبتأسيسها، وهو أهم مصدر للتعريف بالمنظمة، إضافة لكتاب الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي الذي كان الأمين التاسع للمنظمة؛ وفيه استعراض لأهم اللقاءات والمؤتمرات التي عقدت منذ عشرينيات القرن الماضي وهي الفترة المعروفة بحقبة ما بين الحربين وكذلك فترة الخمسينيات من القرن نفسه التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.⁵⁶

ومما جاء في موقع المنظمة -بتصرف-: تعد منظمة التعاون الإسلامي ثاني أكبر منظمة من نوعها على مستوى العالم بعد منظمة الأمم المتحدة، حيث تضم في عضويتها سبعا وخمسين دولة موزعة على أربع قارات، وتُمثل المنظمة الصوت الجماعي للعالم الإسلامي وتسعى لحماية مصالحه والتعبير عنها؛ دعماً للسلم والانسجام الدوليين، وتعزيزاً للعلاقات بين مختلف شعوب العالم.

وقد أنشئت المنظمة بقرار صادر عن القمة التاريخية التي عُقدت في الرباط بالمملكة المغربية في 12 من رجب 1389 هجرية (الموافق 25 من سبتمبر 1969 ميلادية)؛ ردّاً على جريمة إحراق المسجد الأقصى في القدس المحتلة.

عُقد في عام 1970م أول مؤتمر إسلامي لوزراء الخارجية في جدة بالمملكة العربية السعودية، وقرر إنشاء أمانة عامة يكون مقرها جدة ويرأسها أمين عام للمنظمة. مرّ على المنظمة حتى اليوم أحد عشر أمينا من مختلف دول العالم الإسلامي، كان أولهم من ماليزيا وهو تونكو عبد الرحمن 1970م-1974م، وأمينها الحالي من السعودية وهو يوسف بن أحمد العثيمين منذ عام 2016م.

جرى اعتماد ميثاق منظمة التعاون الإسلامي في الدورة الثالثة للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في عام 1972م، ووضع الميثاق أهداف المنظمة ومبادئها وغاياتها الأساسية؛ المتمثلة بتعزيز التضامن والتعاون بين الدول الأعضاء. وارتفع عدد الأعضاء خلال ما يزيد عن أربعة عقود بعد إنشاء المنظمة من ثلاثين

إلغاء الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك 1924م.

ومما جاء في كلمة الملك عبد العزيز: "لعل اجتماعكم هذا، في شكله وموضوعه، أول اجتماع في تاريخ الإسلام، ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة، تتكرر في كل عام، عملاً بقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) سورة المائدة الآية (2)، وبإطلاق قوله عز وجل (وأتَمروا بينكم بمعروف) سورة الطلاق الآية (6)

إنكم تعلمون أنه لم يكن في العصور الماضية، أدنى قيمة لما يسمى في عرف هذا العصر، بالرأي العام الإسلامي، ولا بالرأي العام المحلي، بحيث يرجع إليه الحكام للتشاور فيما يجب من الإصلاح في مهد الإسلام، ومشرق نوره الذي عم الأنعام..."⁵⁵

ولذلك ففكرة إرجاع التضامن الإسلامي في السبعينيات لحلف سعودي أمريكي ليست دقيقة من الناحية التاريخية؛ إذ فكرة التضامن الإسلامي سبقت ذلك بكثير؛ حيث كانت -على المستوى السعودي- منبثقة منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، وحتى دعوات الملك فيصل للتضامن الإسلامي بدأت منذ مطلع الستينيات؛ فقد كان يدعو لمواجهة الأفكار والعقائد الهدامة من شيوعية وعلمانية وقومية وغيرها. وكانت على المستوى العالمي أسبق من ذلك بكثير كما ذكر ذلك أمين المنظمة الأسبق أكمل الدين أوغلي فيما سيأتي معنا.

كما أنها ليست دقيقة من الناحية الموضوعية؛ حيث جاءت الدعوة إلى تضامن إسلامي عالمي -في فترة حكم الملك فيصل- عقيب إحراق المسجد الأقصى عام 1969م، فتأسست على إثر ذلك منظمة التعاون الإسلامي. وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل؛ لأنها تمثل الرد العملي على فكرة آيدن في نفيه وجود عالم إسلامي إلا في الأوهام المتخيلة، التي أنجبتها الأطماع الجيوبسياسية للشرق والغرب.

منظمة التعاون الإسلامي:

(55) انظر تفاصيل هذا المؤتمر ونتائجه ص183-155 من كتاب: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين للدكتورة مديحة أحمد درويش. الطبعة الأولى، 1400هـ دار الشروق. القاهرة- مصر. وكتاب: العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد -منظمة التعاون

الإسلامي- ص43 للدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي. الطبعة الأولى 2013م دار الشروق. القاهرة-مصر.
(56) العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد -منظمة التعاون الإسلامي- ص42 للدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي.

والعلوم والتكنولوجيا، وتغيّر المناخ، والتنمية المستدامة، والوسطية، والثقافة والتناغم بين الأديان، وتمكين المرأة، والعمل الإسلامي المشترك في المجال الإنساني، وحقوق الإنسان والحكم الرشيد وغيرها. ومن أهم أجهزة المنظمة، القمة الإسلامية، ومجلس وزراء الخارجية، والأمانة العامة، بالإضافة إلى لجنة القدس وثلاث لجان دائمة تُعنى بالعلوم والتكنولوجيا، والاقتصاد والتجارة، والإعلام والثقافة. وهناك أيضاً مؤسسات متخصصة تعمل تحت لواء المنظمة، ومنها البنك الإسلامي للتنمية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) وتؤدي الأجهزة المتفرعة والمؤسسات المنتمية التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي -أيضاً- دوراً حيوياً وتكميلياً من خلال العمل في شتى المجالات. أ-هـ

إن وجود منظمة للعالم الإسلامي تجمع شتاته وتوحد رؤيته وتحقق أهدافه -مهما كان مدى نجاحها- لهو دليل عملي واقعي على أن فكرة أيدن وتصوره عن العالم الإسلامي لم تكن دقيقة، فلا يمكن أن يجتمع المسلمون على ضلالة، أو يلتفتوا حول فكرة متوهمة لا رصيد لها في الواقع، أو ينساقوا خلف أطماع جيوسياسية بغير وعي ولا إدراك منهم بما يحاك لهم. إن من واجب العلماء والمفكرين الإسلاميين؛ دعم مثل هذه المنظمة التي تجمع الشتات، وتلمّ الشمل، وتسعى لأن تكون كلمة المسلمين واحدة في مواجهات التحديات التي تستجد مع تعاقب العصور وتداعي الأمم.

وفي السياق نفسه لا بد من الإشارة إلى منظمة أخرى لا تقل أهمية عن منظمة التعاون الإسلامي، وهي دليل آخر على أن فكرة العالم الإسلامي فكرة قائمة في الواقع اليوم، وهي **رابطة العالم الإسلامي**. والفرق البارز بين المنطمتين؛ أن منظمة التعاون الإسلامي منظمة سياسية دولية، ورابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية عالمية. وتؤكد الرابطة دوماً على أنها تعمل تحت مظلة منظمة التعاون الإسلامي وتدور في فلكها.

وهذا تعريف برابطة العالم الإسلامي ونشأتها كما ورد في الموقع الرسمي لها على الشبكة:

دولة -وهو عدد الأعضاء المؤسسين- ليلبلغ سبعة وخمسين دولة عضواً في الوقت الحالي. تم تعديل ميثاق المنظمة لاحقاً لمواكبة التطورات العالمية، فكان اعتماد الميثاق الحالي في القمة الإسلامية الحادية عشرة التي عُقدت في دكار، عاصمة السنغال عام 2008 ليكون الميثاق الجديد عماد العمل الإسلامي المستقبلي بما يتوافق مع متطلبات القرن الحادي والعشرين. وتتفرد المنظمة بشرف كونها جامعة كلمة الأمة وممثلة المسلمين، وتتاصر القضايا التي تهم ما يزيد على مليار ونصف المليار مسلم في مختلف أنحاء العالم.

وترتبط المنظمة بعلاقات تشاور وتعاون مع الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الحكومية الدولية؛ بهدف حماية المصالح الحيوية للمسلمين، والعمل على تسوية النزاعات والصراعات التي تكون الدول الأعضاء طرفاً فيها، واتخذت المنظمة خطوات عديدة للدفاع عن القيم الحقيقية للإسلام والمسلمين، وتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة، كما ساهمت بفاعلية في مواجهة ممارسات التمييز ضد المسلمين بجميع صورها.

إن الدول الأعضاء في المنظمة تواجه تحديات متعددة في القرن الحادي والعشرين؛ ومن أجل معالجة هذه التحديات، وضعت الدورة الاستثنائية الثالثة لمؤتمر القمة الإسلامي التي عُقدت في مكة المكرمة في ديسمبر 2005 خطة على هيئة برنامج عمل عشري، يهدف إلى تعزيز العمل المشترك بين الدول الأعضاء، وبحلول نهاية عام 2015، استُكمِلت عملية تنفيذ مضامين برنامج العمل العشري لمنظمة التعاون الإسلامي بنجاح، وقامت المنظمة بصياغة برنامج جديد للشرية القادمة الممتدة بين عامي 2016 و2025.

يستند برنامج العمل الجديد إلى أحكام ميثاق منظمة التعاون الإسلامي، ويتضمن 18 مجالاً من المجالات ذات الأولوية و107 هدفاً، وتشمل هذه المجالات قضايا السلم والأمن، وفلسطين والقدس الشريف، والتخفيف من حدة الفقر، ومكافحة الإرهاب، والاستثمار وتمويل المشاريع، والأمن الغذائي،

-التعريف بالإسلام وبيان حقائقه وقيمه السمحة وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
-ترسيخ مفاهيم الوسطية والاعتدال في وعي الأمة المسلمة.

-بذل الجهود الممكنة في علاج وحل قضايا الأمة المسلمة، ودفع عوامل النزاع والشقاق.
-العناية بالتواصل الحضاري ونشر ثقافة الحوار.
-الاهتمام بالأقليات المسلمة وقضاياها، والتواصل معها لعلاج المشكلات التي تواجهها في حدود دساتير وأنظمة الدول التي يوجدون فيها.
-الاستفادة من موسم الحج بإتاحة الفرصة لاجتماع العلماء والمتقنين ومسؤولي المنظمات؛ لتقديم الحلول العلمية لرفع مستوى المسلمين في العالم.
-الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة وتعزيز مكانتها في العالم وتحقيق وحدتها.

الأمانة العامة

وهي الجهاز التنفيذي للرابطة الذي يقوم بالإشراف المباشر على الأعمال والأنشطة التي تقوم بها الرابطة ويتولى الأمين العام بمساعدة الأمناء العامين والمساعدين وموظفي الرابطة ومنسوبيها بتنفيذ الخطط والتوجيهات التي تصدر من المجلس الأعلى. ومقرها في مكة المكرمة. وقد مر على الرابطة حتى الآن ثمانية أمناء جميعهم من المملكة العربية السعودية؛ أولهم: محمد سرور الصبان 1962م- 1970م، وآخرهم الدكتور محمد العيسى منذ 2016م حتى الآن.

مجالس الرابطة:

المؤتمر الإسلامي العام

المؤتمر الإسلامي العام يعبر عن مشاعر الشعوب الإسلامية في العالم، وآمالهم للوصول إلى أهدافهم العليا، وتستمد الرابطة شرعيتها منه، وسلطة التكلم باسم الشعوب الإسلامية. يتكون من مجموعة من كبار دعاة الإسلام المرموقين والناشطين في خدمته، يجتمعون للنظر في القضايا الإسلامية الكبرى والعمل على حل مشكلات المسلمين وتحقيق مصالحهم وآمالهم الخيرة.
انعقد المؤتمر الإسلامي العام عدة مرات:

رابطة العالم الإسلامي منظمة إسلامية شعبية عالمية جامعة مقرها مكة المكرمة، تُعنى بإيضاح حقيقة الدين الإسلامي، ومد جسور التعاون الإسلامي والإنساني مع الجميع.

أنشئت بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة في 14 من ذي الحجة 1381هـ. الموافق 18 من مايو 1962م وتمثل الرابطة في كل من:

-هيئة الأمم المتحدة بصفة عضو مراقب بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين المنظمات الدولية غير الحكومية ذات الوضع الاستشاري.

-منظمة التعاون الإسلامي بصفة مراقب؛ تحضر مؤتمرات القمة، ووزراء الخارجية، وجميع مؤتمرات المنظمة.

-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة بصفة عضو.

-منظمة الطفل العالمية (اليونيسيف) بصفة عضو.

ميثاقها

نحن أعضاء رابطة العالم الإسلامي الممثلين له تمثيل عقيدة وإيمان نعاهد الله تعالى على:
أن ندعو الأمم عامة إلى التسابق في ميدان العمل لخير البشرية وإسعادها، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفرادها، وإيجاد المجتمع الانساني الأفضل.
أن نشهد الله على أننا لا نريد إفسادا لأمر أحد، ولا سيطرة ولا هيمنة على أحد.

أن نبذل قصارى جهدنا في توحيد كلمة المسلمين، وإزالة عوامل التفكك المحيقة بالمجتمعات الإسلامية المنتشرة في بقاع الأرض.

أن نساند كل ما يدعو إلى الخير.

أن نعلن لا شعوبية ولا عنصرية في الإسلام.

أن نوحّد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض بطريق إيجابي سليم.

· أن نستخدم جميع ما نملكه من وسائل روحية ومادية وأدبية؛ لتحقيق ما نصبو إليه في هذا الميثاق.

أهدافها ووسائل تحقيق هذه الأهداف

وتستخدم الرابطة في سبيل تحقيق أهدافها، الوسائل التي لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية؛ ومنها:

المجلس الأعلى العالمي للمساجد هيئة اعتبارية، يؤدي ما يقوم بتفعيل عمارة المسجد وترشيدها، بحيث يعود المسجد منطلقاً حيويّاً لجميع ما يتعلق بحياة المسلمين الدينية والدنيوية، وحماية المساجد والأوقاف الإسلامية من الاعتداء عليها وعلى ممتلكاتها، والمحافظة على قدسيتها وطهارتها، وصيانتها، والعناية بها.

أنشئ بناءً على قرار مؤتمر رسالة المسجد؛ الذي عقد بمكة المكرمة في رمضان عام 1395هـ الموافق سبتمبر 1975م بدعوة من الرابطة.

تكوينه:

يتكون المجلس الأعلى العالمي للمساجد من (40) عضواً يمثلون الشعوب والتجمعات الإسلامية في العالم، والعمل فيه تطوعي، لا يتقاضى أعضاؤه راتباً ولا مكافأة.

أهدافه:

- تكوين رأي عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.
- محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف.
- العمل على حرية الدعوة إلى الله.
- حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها.

- المحافظة على الأوقاف الإسلامية.
- الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية.
اختصاصات المجلس:

- وضع الخطط العامة لإحياء دور المسجد في التوجيه والتربية ونشر الدعوة وتقديم الخدمات الاجتماعية.
- إصدار مجلة دورية باسم رسالة المسجد؛ تعنى برفع كفاية الأئمة والخطباء الثقافية والفنية، وتضع بين أيديهم نماذج رفيعة من الخطب والدروس المدعمة بالنصوص من الكتاب والسنة.

- إصدار المؤلفات والنشرات التي تشرح مبادئ الإسلام وتوضح مزاياه.

- القيام بمسح شامل للمساجد في العالم، وتدوين المعلومات اللازمة عنها، وضبطها في سجل خاص وتفرغها في كتب ونشرات دورية بين حين وآخر.

- المؤتمر الإسلامي العام الأول في عام 1381هـ الموافق 1962م وتأسست الرابطة بناءً على قراره.
- المؤتمر الإسلامي العام الثاني في عام 1384هـ الموافق 1965م والذي كان من أهم توصياته التأكيد على دعم فكرة التضامن الإسلامي، وإزالة العقبات التي تعترضها من ضعف الوازع الديني وازدياد النزعات المذهبية وتناقض المصالح الإقليمية.

- المؤتمر الإسلامي العام الثالث في عام 1408هـ الموافق 1987م الذي كان من أهم توصياته ضرورة الإيمان بقضية الحرمين الشريفين، وتعظيم مكة المكرمة والأشهر الحرم وشعائر الحج، وأن أمن الحرمين أمر منوط بمن يلي أمرها من المسلمين.

- المؤتمر الإسلامي العام الرابع عقد في سنة 1423هـ الموافق 2002م والذي كان من أهم قراراته تلك التي تدور حول الأمة الإسلامية والعولمة وقضايا الشعوب الإسلامية، كما أصدر المؤتمر ميثاق مكة للعمل الإسلامي وأصدر بياناً بشأن فلسطين وأصدر قراراً بتكوين هيئة عليا للتنسيق، وهيئة عالمية للعلماء المسلمين.

المجلس الأعلى:

المجلس الأعلى هو السلطة العليا في الرابطة التي تعتمد كافة الخطط التي تتبناها الأمانة العامة للرابطة، ويتكون المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي من (60) عضواً؛ من الشخصيات الإسلامية المرموقة، يمثلون الشعوب والأقليات المسلمة ويعينون بقرار من المجلس. ويشترط في المرشح لعضوية المجلس الأعلى أن يكون من الدعوة إلى الله ممن له نشاط مشهود في العمل الإسلامي. ويجتمع المجلس دورياً لاتخاذ القرارات فيما يعرض عليه من البحوث والقضايا التي تقدمها الأمانة العامة للرابطة، أو يقدمها ثلاثة من أعضاء المجلس واتخاذ قرارات بشأنها، وذلك فيما يتعلق بمسيرة نشاط الرابطة لتحقيق أهدافها، وتقديم النصح والتوصيات والمشورة للدول والجماعات التي تحتاج إليها في خدمة الإسلام والمسلمين، والعمل في المجلس الأعلى تطوعي، لا يتقاضى أعضاؤه عنه راتباً ولا مكافأة.

المجلس الأعلى العالمي للمساجد:

الثاني: أن الواقع اليوم لا يشهد بوجود عالم إسلامي موحد على الطريقة الأمريكية -حكومة فيدرالية مثلاً- أو على أقل تقدير على الطريقة الأوروبية كالاتحاد الأوروبي؛ وإنما العالم الإسلامي اليوم مختلف في رؤاه وتوجهاته التي ربما تطورت إلى حروب ومقاطعات. وفي تقديري أن هذين السببين غير كافيين للحكم بوهمية الفكرة وعدم وجودها؛ لأننا نستطيع أن نفوت الفرصة على المتطرفين والإرهابيين ببيان حقيقة الإسلام المتسامح الذي لا يكره أحداً على الدخول فيه، وأن التعامل مع أي عالم آخر فيما يخدم مصالح الناس لا مانع منه أياً كان هذا الآخر.

يجب أن يعلم المسلمون قبل غيرهم؛ أن الدين الإسلامي ليس ديناً صدامياً، بل دين متوازن أنزله الله تعالى لصالح الناس في معاشهم ومعادهم، وكما أمرهم بعبادته وخلقهم من أجلها؛ فقد أمرهم كذلك بعمارة الأرض والسعي في منابها، ولا يتأتى ذلك بغير التعامل مع الناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها. وإن انكفاء المسلمين على ذواتهم سوف يفوت عليهم مصالح كثيرة أجراها الله على أيدي غيرهم من الأمم ممن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وإن كانوا عن الآخرة لغافلين.

وكذلك نستطيع تقوية فرصة خلق الصدام على الغربيين الصداميين المؤمنين بها من خلال ما أشرنا إليه سابقاً من سماحة الإسلام ورحمته حتى مع المخالف، ومن خلال أيضاً كتابات الغربيين أنفسهم الذين لا يؤمنون بهذه النظرة والذين لا يسكنهم هاجس التوجس من الإسلام أو ما يسمى بـ الإسلام فوبيا، وسبقت الإشارة إلى بعضهم.

إذاً لسنا بحاجة إلى أن نقوم بإلغاء العالم الإسلامي أو فكرة العالم الإسلامي لتأكيد هذه المفاهيم، أو لإلغاء فكرة الصراع والعداء بين العالمين.

وأما السبب الثاني؛ فلا يعني عدم وجود عالم إسلامي موحد -على الطريقة التي في تصور آيدن- أن هذا العالم غير موجود بالفعل! فنقصان الشيء لا يدل على عدم وجوده، بل هو موجود لكنه منقوص. ولا شك أن العالم الإسلامي على امتداد تاريخه مرّ بفترات ضعف ومرّ كذلك بفترات قوة، ولا يهم أن يكون موحداً على التصور الذي يريده آيدن -وإن كان هو الصورة

-اختيار مجموعة من الدعاة القادرين على مهمة الدعوة والخطابة بعد إعدادهم؛ للقيام بجولات توجيهية في مساجد العالم الإسلامي.

-إقامة دورات تدريبية مستمرة لأئمة المساجد وخطبائها مركزية وإقليمية تثري ثقافتهم وترفع كفاءتهم.

-تشكيل هيئة أو مجلس إدارة لكل مسجد؛ يتولى الإشراف المباشر على المسجد ومراقبه وملحقاته وإدارته وتنظيم شئونه.

-دراسة الأفكار وأنماط السلوك التي تتعارض مع تعاليم الإسلام.

-الاسهام في تأهيل الأئمة والخطباء وتدريبهم، وإيفادهم إلى مناطق تجمع المسلمين للإمامة والوعظ والارشاد.هـ

وهكذا نرى أن فكرة العالم الإسلامي اليوم فكرة قائمة في الواقع المعاصر، سواء على المستوى السياسي الذي تمثله منظمة التعاون الإسلامي، أو على المستوى الشعبي الذي تمثله رابطة العالم الإسلامي؛ وهو ما يعد دليلاً عملياً ملموساً على دحض الفكرة القائلة بأن العالم الإسلامي فكرة مجردة في الأذهان، لا وجود لها في الأعيان؛ فهذان برهانان من واقع المسلمين على مستوى القيادات والشعوب يؤكدان على قيام العالم الإسلامي في واقعنا اليوم.

ولكن قد يتبادر للذهن سؤال هام وهو: ما الأسباب التي دعت البرفسور آيدن لإنكار وجود عالم إسلامي، متمايز في وجوده عن عالم آخر وبالخصوص عن عالم غربي مسيحي؟؟

يمكن أن نلاحظ من خلال طرح آيدن في كتابه؛ أنه إنما نفى فكرة العالم الإسلامي المتمايز عن العالم الغربي المسيحي، ووصفها بالفكرة المتوهمة، وأن مجرد الإيمان بها يجعل من هذين العالمين عدوين في المرأة -على حد تعبيره- لسببين:

الأول: إزالة العداء بين العالمين، وتقوية الفرصة على الراديكاليين الإسلاميين، وعلى المؤمنين بنظرية صدام الحضارات من الغربيين؛ والذين بسببهم يعيش العالم في دوامة من الكراهية والإرهاب! وذلك لكي ننعم بفضيلة التعايش السلمي بين أمم الأرض وشعوبها على اختلاف عقائدهم وأديانهم، وأجناسهم وأعرافهم.

أن تُفهم على أنها فكرة صراع ومغالبة بين العالم الإسلامي وبين العالم الغربي المسيحي.

(4) يبدو التناقض واضحاً في القول بحدثة فكرة العالم الإسلامي، وبين القول بأن الراديكاليين الإسلاميين، استقوها من فكرة دار الكفر ودار الإسلام في التراث القديم.

(5) فكرة العالم الإسلامي تناولها علماء ومفكرون على المستوى العلمي، وتناولها قادة وسياسيون على المستوى العملي، وتداعت لها شعوب الإسلام على المستوى الشعبي، وذلك في مختلف العصور، ولا يصح القول بأن كل هؤلاء انخدعوا بفكرة متوهمة ولدتها أطماع جيوسياسية، وانساقوا خلفها دون وعي. (6) على المستوى الواقعي اليوم توجد منظمات كثيرة تعنى بالعالم الإسلامي، وتدحض وهم الفكرة؛ منها على المستوى السياسي: منظمة التعاون الإسلامي وهي أكبر منظمة دولية بعد الأمم المتحدة، ومنها على الجانب الشعبي: رابطة العالم الإسلامي.

(7) لا يوجد ارتباط بين وجود عالم إسلامي متميز بفكره وأصالته وممتد منذ انبثاق فجره وانبعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وبين فكرة الصراع والمغالبة وصدام الحضارات التي يروج لها المتعصبون والكارهون.

(8) عدم وجود عالم إسلامي موحد على الصورة المثلى التي يرسمها آيدن في ذهنه؛ لا ينفي وجوده بالفعل كما لا ينفي إنجازاته التي حققها منذ سطوع شمسهِ على العالم. ومن التوصيات التي يمكن الإشارة إليها بعد هذا البحث:

(1) أهمية ترجمة الكتب الإنجليزية التي تكتب في الفكر الإسلامي ونقاش أفكارها لإثراء الساحة الفكرية، ولرد على الشبهات التي قد تثار بين حين وآخر.

(2) يجب أن تضطلع الجامعات بواجبها نحو حركة الترجمة بمختلف اللغات، فهناك دراسات غربية وشرقية عن علماء الإسلام وعن التاريخ الإسلامي ينبغي الاطلاع عليها ومناقشة أفكارها.

(3) تسهم حركة الترجمة في إيجاد موضوعات لطلاب الدراسات العليا في مختلف التخصصات،

المثلى- لكن يكفي أن تكون أراء العالم الإسلامي موحدة تجاه جُلّ القضايا التي يمر بها العالم؛ وخصوصاً تلك التي تهم العالم الإسلامي.

وقد استطاع العالم الإسلامي بالفعل توحيد العديد من أرائه تجاه قضايا مصيرية في العالم على المستويين السياسي والشعبي، يمكن رصدتها من خلال القرارات التي تخرج بها منظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي.

وهكذا فحاضر العالم الإسلامي اليوم على المستوى الفكري والعملي يشهد بوجود عالم إسلامي متميز فكراً وسلوكاً عن عالم غربي مسيحي، ولا يمكن تجاهله لوجود أطماع جيوسياسية لا تخلو منها أي أمة أو أي زمن، أو أيًا كانت الأسباب فلا يصح إلغاء وجوده من على وجه هذه المعمورة.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث حول نقد فكرة العالم الإسلامي لدى البروفسور كيميل آيدن والتي أودعها كتابة باللغة الإنجليزية: **The Idea Of The Muslim World** يمكن أن نخرج بالنتائج والتوصيات التالية: (1) يرى آيدن أن فكرة العالم الإسلامي فكرة حديثة، انجبتها الأطماع الجيوسياسية، وانقاد خلفها سياسيون ومفكرون وعلماء دين.

(2) ترجع هذه الفكرة الحديثة -عند آيدن- إلى عدة عوامل أسهمت في نشأتها؛ منها عوامل داخلية من قبل المسلمين أنفسهم من خلال الراديكاليين المسلمين، وكذلك من خلال المفكرين الإسلاميين. وعوامل خارجية من قبل العالم الغربي المسيحي؛ من خلال المؤمنين بنظرية صدام الحضارات، وكذلك من خلال مفكري العالم الغربي المتعصبين الذين ينتقصون الإسلام ويثيرون الشبه ضده. وعامل ثالث مشترك بين الداخل والخارج وهو شعور كلٍّ منهما بالتميز والتفوق؛ سواء التفوق العرقي أو الديني.

(3) يقول آيدن إن فكرة العالم الإسلامي -وإن كانت حديثة- ينبغي أن تفهم في سياقها الطبيعي، مثلها مثل الوحدة الأفريقية والآسيوية التي تسعى للمطالبة بالحقوق والحريات، والمساواة بدول العالم؛ ولا يجب

الطبعة الأولى 2019م-جسور للترجمة والنشر - بيروت-لبنان.

(11) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده العروة الوثقى ، تقديم مصطفى عبد الرزاق، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر.
(12) حسام الدين جاد الرب معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية. دار العلوم 2011م.

(13) رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده الطبعة الأولى 1324هـ دار المنار، القاهرة-مصر.

(14) سامي الدهان الأمير أرسلان حياته وأثاره الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة.

(15) السلطان عبد الحميد مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة د. محمد حرب الطبعة الثالثة 1412هـ دار القلم، دمشق-سوريا.

(16) سليمان الشافعي البيجرمي تحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروف بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع أو حاشية البيجرمي على شرح الخطيب 1415هـ دار الفكر، بيروت-لبنان.

(17) شمس الدين السرخسي المبسوط الطبعة الأولى 1409هـ دار المعرفة، بيروت-لبنان

(18) صموئيل هنتنغتون صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ترجمة طلعت الشايب وتقديم صلاح قنصوة منشورات سطور. الطبعة الثانية 1999م.

(19) طيبي بلهاشمي وإبراهيم بن عمار نظرية الصراع الحضاري في الفكر الاستراتيجي الأمريكي: تحليل ونقد لدراسة برنارد لويس "جذور الغضب الإسلامي" بجامعة وهران - مجلة القانون، المجتمع والسلطة مجلد 8 عدد 1 عام 2019م.

(20) عبد الله الندوي ترجمات معاني القرآن وتطور فهمه عند الغرب؛ ضمن سلسلة كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي العدد 174 السنة الخامسة عشرة - جمادى الآخرة 1417هـ.

(21) عبد الوهاب المسيري الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة الطبعة الأولى 2003م دار الهلال - القاهرة.

وكذلك لأبحاث الترقية لأساتذة الجامعات من خلال ترجمة الكتب أو نقدها.

(4) إنشاء مركز للترجمة بكل الجامعات؛ مهمته الاطلاع على الكتب المختصة التي تصدر سنوياً بمختلف اللغات، وترجمة ما يراه مناسباً منها، أو طرحها كأبحاث لطلاب الدراسات العليا.
هذا والله تعالى أعلم ونصلي ونسلم على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

(1) ابن تيمية الفتاوى الكبرى الطبعة الأولى 1408هـ دار الكتب العلمية؛ بيروت-لبنان.

(2) ابن حجر الهيتمي تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان

(3) أبو بكر الكاساني بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الحنفي تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود الطبعة الثانية 1442هـ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(4) أبي يعلى الفراء مختصر المعتمد في أصول الدين تحقيق: د. محمد السفيناني و د. مشاعل باقاسي الطبعة الأولى 1440هـ دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.

(5) أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث. دار الكتاب العربي؛ بيروت-لبنان.

(6) ارنست رينان حوارات رينان الفلسفية ترجمة علي أدهم الطبعة الثانية دار الكتب المصرية 1998م -القاهرة.

(7) أكمل الدين إحسان أوغلي العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد -منظمة التعاون الإسلامي.- الطبعة الأولى 2013م دار الشروق. القاهرة-مصر.

(8) أنطوني سامبسون مانديلا السيرة الموثقة - ترجمة هالة النابلسي وغادة الشهابي 2001م العبيكان للنشر-الرياض.

(9) برنار توسان ماهي السيميولوجيا ترجمة محمد نظيف، الطبعة الثانية: أفريقيا الشرق- الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان.

(10) تشارلز كورزمان رواد التجديد في الإسلام: 1840 - 1940م ترجمة: إبراهيم عطية وآخرين

- (22) عبد الوهاب المسيري **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** الطبعة الأولى 1999م دار الشروق- القاهرة.
- (23) علي شلش **سلسلة الأعمال المجهولة لجمال الدين الأفغاني**، الطبعة الأولى 1978م رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن.
- (24) فرانتس فانون **معذبو الأرض** تقديم الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر- ترجمة سامي الدروبي وجمال أتاسي الطبعة الثانية 2015م مدارات للأبحاث والنشر- القاهرة.
- (25) لوثرروب ستودارد **حاضر العالم الإسلامي** ترجمة عجاج نويهض تعليق شبيب أرسلان الطبعة الثالثة 1391هـ دار الفكر، بيروت- لبنان.
- (26) مالك بن أنس **الأصباحي المدونة الكبرى**، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية
- (27) مجموعة باحثين **العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو** - من 1516م إلى 1916م- تحولات بُنى السلطة والمجتمع: من الكيانات والإمارات السلطانية إلى الكيانات الوطنية. صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ويضم عدداً من الأبحاث المنتقاة من التي قدمت في مؤتمر عقده المركز بالعنوان نفسه في بيروت، في 21 و22 نيسان/ أبريل 2017، ضمن مؤتمره السنوي للدراسات التاريخية.
- (28) محمد البهي **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار** الطبعة الرابعة عشر 1426هـ، مكتبة وهبة. القاهرة- مصر.
- (29) محمد الدسوقي المالكي **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير** دار الفكر بيروت- لبنان.
- (30) محمد جابر الأنصاري **الفكر العربي وصراع الأضداد** الطبعة الثانية 1999م المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت- لبنان.
- (31) محمد رشيد رضا **مجلة المنار**، مطبعة المنار 1315هـ.
- (32) محمد عمارة **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه** الطبعة الأولى 1404هـ دار الشروق. القاهرة- مصر
- (33) مديحة أحمد درويش **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**. الطبعة الأولى، 1400هـ دار الشروق. القاهرة- مصر.
- (34) مصطفى كامل **المسألة الشرقية** الطبعة الأولى 1898م مطبعة الآداب القاهرة- مصر.
- (35) المعهد العالمي للفكر الإسلامي **جمال الدين الأفغاني عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحية** وهو وقائع حلقة دراسية عقدت في عمان- الأردن عام 1419هـ- 1998م الطبعة الأولى عام 1420هـ- 1999م المعهد العالمي للفكر الإسلامي. عمان- الأردن
- (36) منذر قباني **حكومة الظل** الطبعة الثانية 1428هـ، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان.
- (37) منصور بن يونس البهوتي **كشف القناع عن متن الإفتاع** 1403هـ عالم الكتب، بيروت- لبنان.
- (38) ميرزا لطف الله خان الأسدي **حقيقة جمال الدين الأفغاني** ترجمة عبد النعيم حسنين الطبعة الأولى 1408هـ دار الوفاء، القاهرة- مصر.
- (39) نكتل عبد الهادي **موقف الولايات المتحدة من النشاط الصهيوني في فلسطين 1897م- 1939م دراسة تاريخية**، الطبعة الأولى 1437هـ- 2015م دار المعتز للنشر والتوزيع. عمان- الأردن.
- (40) هارالد مولر **تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون** طبع لأول مرة بالألمانية عام 2001م وترجمه للعربية د. إبراهيم أبو هشيش عام 2005م الطبعة الأولى دار الكتاب الجديد المتحدة - فرانكفورت - ألمانيا.
- (41) وهبة الزحيلي **آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة** الطبعة الثالثة 1419هـ دار الفكر دمشق- سوريا.
- (42) ويلفريد سكوين **بلنت التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر**، راجعه ووافقه على ما فيه محمد عبده، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر.
- (43) ويلفريد سكوين **بلنت مستقبل الإسلام** ترجمة الدكتور صبري محمد حسن. دار الجمهورية 2010م القاهرة- مصر.
- (44) يسرى كريم **الحكومة العالمية وتطورات النظام الدولي**. الطبعة الأولى 2020م دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1) David Macey **Frantz Fanon A life** - Granta BKS- New York 2006.
- 2) Francis Henry Bennett Skrine **Life of Sir William Wilson Hunter** -Newyork – Mombay -1901.
- 3) Howard Williams **Death and Memory in Early Medieval Britain** The book was first published by Cambridge University Press as part of their series "Cambridge Studies in Archaeology" in 2006.
- 4) Nahum Dimitri Chandler **The Problem of the Negro as a Problem for Thought** - - Fordham University Press, 2014.

The Criticism Of Aydin's Philosophy about The Idea Of The Muslim World

Dr.Mohammad Saud ALsufyani

Assistant Professor of Faith and Religions

At Taif University College of Sharia & Law

Department of Islamic culture

Abstract. the research discusses Professor Cemil Aydin's perspective about the Islamic world through his book: The Idea of the Muslim World; he views it as a modern idea born of geopolitical cupidities. He highlights the factors that led to the emergence of this modern idea from his perspective as well as the reasons that drove him to have this perspective.

Then the researcher proceeds to criticize Aydin's perspective through scientific reality by Muslim scholars and intellectuals, and practical reality by leaders and politicians, as well as the peoples of the Muslim world today, which were represented in world-wide international organizations.